ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

٦٩ المجلد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد السابع – المجلد التاسع والستون – محرم الحرام ١٤٤٥هـ – أغسطس ٢٠٢٣م

- الصحافة العربية الهادفة وتأثيرها على المجتمع ! (افتتاحية العدد)
- صوم عاشوراء وتاريخه في الكتب السماوية
- أسلوب الدعوة إلى الله وعاقبة المؤمنين والكافرين
- الحياة آية كبرى على البعث
- بيان الحق والباطل في حوارات القرآن الكريم نموذجاً
- قواعد علم أصول الفقه وأثرها على تفسير نصوص القانون
- منهج تفسير القرآن وكيفية فهمه
- دراسة وجيزة لتاج العروس من جواهر القاموس
- رجال غيّروا مجرى التاريخ
- قهر الشعوب بالاتجاه المزدوج

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادةً للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- في الهند

أربع مائة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ست مائة و عشرون(بالبريد المسجل)	٦٢٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:

٥٠ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٦٩

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أغسطس ٢٠٢٣م — August 2023

العدد السابع – المجلد التاسع والستون – محرم الحرام ١٤٤٥هـ – أغسطس ٢٠٢٣م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحي الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد السابع – المجلد التاسع والستون – محرم الحرام ١٤٤٥هـ – أغسطس ٢٠٢٣م

❖ **الافتتاحية :**

الصحافة العربية الهادفة وتأثيرها على المجتمع ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ **التوجيه الإسلامي :**

صوم عاشوراء وتاريخه في الكتب السماوية — الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ٩

أسلوب الدعوة إلى الله وعاقبة المؤمنين والكافرين — سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ١٥

❖ **الدعوة الإسلامية :**

الحياة آية كبرى على البعث — د . غريب جمعة — ١٩

إصلاح ذات البين : فريضة دينية — الأستاذ طارق أسعد بن أسعد الأعظمي — ٢٧

بيان الحق والباطل في حوارات القرآن الكريم نموذجاً — الدكتور عبد الواحد بن عبد القادر — ٣٢

❖ **الفقه الإسلامي :**

قواعد علم أصول الفقه وأثرها على تفسير نصوص القانون — الدكتور إبراهيم محمد موسى محمد — ٤٣

❖ **دراسات وأبحاث :**

منهج تفسير القرآن وكيفية فهمه — الأستاذ إرشاد أحمد السالارزئي — ٥٣

شبهة أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل في الشهر الحرام — الأخ محمد دانش أنور — ٦٠

النظام الطبقي في المجتمع الهندي — الأستاذ أحمد نور العيني — ٦٥

دراسة وجيزة لتاج العروس من جواهر القاموس — الدكتور مزمل كريم — ٧٢

❖ **رجال من التاريخ :**

رجال غيّروا مجرى التاريخ — الأستاذ الحافظ أحمد سالم الهدوي — ٨٠

كليم أحمد عاجز وأعماله الشعرية والنثرية — الدكتور محمد سليم أختر — ٨٦

❖ **صور وأوضاع :**

قهر الشعوب بالاتجاه المزدوج — محمد فرمان الندوي — ٩٤

❖ **إلى رحمة الله تعالى :**

١. الأستاذ الطبيب جنيد عالم الندوي إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٨

٢. الأستاذ محمد صابر في ذمة الله تعالى — " " " — ٩٨

٣. الأستاذ الداعية محمد فاروق خان إلى رحمة الله تعالى — " " " — ٩٩

٤. الشيخ السيد أبو طاهر الحسيني إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

٥. الشيخ مستقيم أحسن الأعظمي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

٦. الأستاذ عبد الولي الفاروقي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٧. الأستاذ الطبيب حسان النجرامي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٨. والدة المفتي محمد زيد المظاهري الندوي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحافة العربية الهادفة وتأثيرها على المجتمع !

الصحافة العربية نبعت من القرآن الكريم ، الذي هو المنبع العظيم ، بل الأخير للغة العربية التي تجذب قلوب أهل الإسلام إلى ذلك الأسلوب العالي ، والطريق المطهَّر ، الذي لم يعرفه الناس قبل نزول كتاب الله تعالى في الجزيرة العربية ، فإنه نزل على نبينا العظيم سيدنا محمد بن عبد الله رسول رب العالمين ، وليست الصحافة العربية إلا مدرسةً دائمةً ، تسع المسلمين كلهم مهما كانوا في أي زاوية من العالم ، فإن نعمة الإسلام الدائمة في العالم منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم في الجزيرة ، عُرفت بالرسالة الخالدة ، وكانت بعثته كآخر رسول يحمل تعاليم الحياة الإسلامية إلى يوم القيامة في الدنيا وبعدها في الآخرة في جنات النعيم ، التي يجعلها الله تعالى نعمةً كبرى لعباده المسلمين الصادقين ، والله سبحانه وتعالى يشير إلى ذلك في مواضع كثيرة في كتابه العظيم : (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ . فَاكِهِينَ بِمَآ آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ . كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [الطور : ١٧ – ١٩] ، و (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ) [المرسلات : ٤٤] .

لقد كان العمل لبناء الحياة على أسس ثابتة وطيدة لأن نعرف قيمة هذا الدين الأخير ، ونصوغ حياتنا في قالبه النبوي الواسع الكبير ، الذي يدوم إلى يوم القيامة ، والذي ينتهي فيه العالم المادي ، وينتقل الناس وأمور الحياة كلها إلى النظام السماوي الدائم ، الذي ليس بعده عالم بشري ، تحت أديم السماء ، في أي حال من الأحوال ، إنما هو الحكم الإلهي في أمر الله تعالى الذي يعيش به المرء في جنات النعيم .

ومن ثم كانت حياة الإنسان في العالم المادي تمارس الحياة الدائمة في العالم السماوي ، وهي التي تفتح الطريق الواسع إلى السماء بعد الموت ، حينما تقوم القيامة ويتمتع الإنسان بحياة جديدة تغاير حياة الدنيا ، يكون لها دستور واضح وطريق معلوم لقضاء الحياة الدائمة السرمدية التي يعيش فيها الإنسان في ضوء الأحكام التي تبين لكل نوع

من العائشين في العالم المادي ، يقول الله تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوفْ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلأَمْوَالِ وَٱلأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ . ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ . أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ) [البقرة : ١٥٥ – ١٥٧] .

ومن ثم يستطيع الإنسان أن يجعل حياته نموذجاً عالياً ، ومثالاً راقياً لحياة المسلم العائش في ظل الإسلام ، تحت أوامر الله تعالى ، التي تكون طريقاً واضحاً ، مفتوحاً إلى جنات ونعيم في الآخرة ، حيث ينال المرء جزاء كل عمل مرضي عند الله بسخاء دائم وإعلان واضح (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

وليس كل ما يعيش فيه الإنسان بانتمائه إلى الإسلام مقبولاً ، ما لم تكن روح التقوى محيطةً به من جميع النواحي ، وفي كل صغير وكبير ، فإن هناك أناساً ، بل جماعات كبيرة يعلنون بالانتماء إلى الدين الإسلامي ، ولكنهم لا يعرفون معنى الدين والتقى ، ويقضون أيامهم العزيزة بعيدةً خاليةً عما قد سماه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، بالإيمان الخالص لوجه الله تعالى ، ذلك الذي لا يتحقق إلا بالطاعة لهما ، وللامتثال الخالص لجميع الأمور الشرعية من الولادة إلى الممات في الدنيا ، وقد جعله الله تعالى نموذجاً عالياً من الحياة في ضوء الكتاب والسنة في جميع نواحي العلم والعمل ، وتطبيق الأحكام الشرعية على كل جانب مهما كان صغيراً في ظاهر الأمور .

من هنا نستطيع أن نعرف أن الصحافة المرضية ليست إلا صورةً صادقةً من الأحداث والوقائع ، التي يتحدث عنها الصحفي الصادق في ضوء الحقيقة الواضحة ، وإن كانت صحافة اليوم ذات اختلاط من الصدق والكذب ، حتى يكون الصحفي يراعي المصالح السياسية والثقافية في الأجواء من كل نوع ، ويكون قد نشرته صحيفة أو جريدة لا شأن لها .

إن المجهودات التي تقوم بها الصحف والمجلات الإسلامية في العالم الإسلامي اليوم من إبراز الجوانب الحيوية ومعالجة قضايا الأمة الإسلامية والتعليق على الأحداث والوقائع التي تحدث على الساحة إنما هي مساع

مشكورة ومقدَّرة ، ولكنها لا تستغني مع ذلك عن إبراز مفاهيم الصحافة الإسلامية وتصوراتها الشاملة على العقل الإنساني ، بغاية من الوضوح ، وبروح من العدالة الاجتماعية ، بلغات مختلفة ، ومع مراعاة الجاذبية في الشكل والمضمون ، كما يجب أن لا تفارق الصحافة والمجلات الإسلامية رسالتها المبدئية وأهدافها الرشيدة خاصةً في العالم الحديث الذي تقاربت فيه المسافات ، وتذاوبت فيه الأبعاد ، وأصبح فيه للصحافة دور ملحوظ بالاتصالات العلمية وتبادل الثقافات والأفكار على مستوى الشعوب والأمم ، وبذلك تفضح صحافتنا الإسلامية مراوغات الصحافة الانتهازية المادية التي تعمل جاهدةً للقضاء على كل صحوة إسلامية وتسعى إلى تشويه الحقائق ، وإسدال الستار على واقع محاسن الإسلام ونظمه ، وهي بذلك تشمل جميع النواحي الإنسانية الحية ، وتحافظ على القيم الخلقية والمثل الإسلامية في جميع مراحل الترتيب والطبع والنشر والتوزيع ، وتواصل ببيان الحقائق والأرقام والإحصائيات الدقيقة ، لكي تستطيع أن تقاوم ذلك التعتيم الإعلامي الذي تقوم بها وسائل الإعلام المغرضة في البلدان المادية ، وتفخيم أمور حقيرة وتكبير صور زائفة للتقدم في مجالات علمية أو حضارية لها اتصال بالغرب ، كما أنها تعمل بالتخطيط الكامل في مجال الجرائم الخلقية والسياسية التي تولاها الفئات المجرمة وطوائف " المافيا " .

هناك صحافات من كل نوع ، وفي لغات عالمية كثيرة تملأ العالم كله وتنشر أخباراً ، ومقالات وتعليقات وبيانات من المواد التي لم تنشر إلى الآن ، وبكتابة إعلامية نالت إعجاباً وقبولاً بين القراء والمثقفين ، وقد كانت جماعة من الصحفيين الكبار من أهل العلم وأصحاب الثقافات العالية في العصور الماضية ، وفي الأزمان الحاضرة ، ممن رفعوا مستوى الصحافة سواءً في الشرق أو الغرب ، ولا تزال أجيال من أمثال هؤلاء الهادفين الكبار ، يسهمون في العصر الحاضر في رفع مستوى الصحافة من كل نوع ، فإذا بحثنا عن الموضوع مجرَّدين عن كل عصبية ، وبعيدين عن كل نسبية أدركنا أن الصحافة لا يستغني عنها الزمان ولا الإنسان في أي بلد أو بقعة ، ولكن الصحافة العربية لها شأن وأهمية

كبيرة في الدول الإسلامية ، والمراكز الثقافية في العالم كله .

ومن هنا كانت للصحافة العربية أهمية قُصوى في الدول العربية والإسلامية ، ودخلت هذه الصحافة في البرامج العلمية والثقافية من كل لغة وبلدة ، وأصبحت المدارس الإسلامية العربية مركزاً للعلوم الأدبية والثقافية والصحفية والتأليفية ، ونالت مكانة واسعة في مدارس الهند الإسلامية .

ويشرفني أن أتحدث عن ندوة العلماء في الهند ، التي رفعت شأن الأدب العربي والصحافة العربية والتأليفات والمحاضرات العربية ، واعترف بذلك علماء العلم والثقافة والأدب العربي والمؤلفات العربية ، فكان ذلك اعترافاً من العالم كله بالأدب والتاريخ والثقافة والعلوم ، وبكل ما دبجته أقلام الأدباء والمثقفين والمؤرخين في هذا المركز العلمي والثقافي .

ومن ثم كانت ندوة العلماء في الهند حاجةً أكيدةً للعلم والدين ، وللثقافة والأدب ، وقد كان تأسيسها كأصل مهم للعلماء والطلاب ولشئون العلم والأدب ، والدعوة والفكر الإسلامي ، فكان المتخرجون من هذا المركز العلمي والثقافي ، ومن هذا المنبع الفكري قد تمكنوا بمجرد فضل من الله وتأييده أن يكونوا في الصف الأول من العلماء والدعاة والمثقفين ، وذلك من خلال كل فضيلة وأدب ودعوة إسلامية يفتقر إليها العلماء والدعاة في جميع الأزمنة والأمكنة .

ومن هنا كانت الصحافة العربية إحدى دعائم التعليم والتربية والأسس الدينية والثقافية ، وركناً مهماً من أركان العلم والدعوة إلى الله تعالى ، فقد كان هذا الدين مؤسساً على أسس ثابتة من كل نوع من العلم والأدب والثقافة والدعوة إلى الخير ، فكانت الصحافة العربية الإسلامية أساساً متيناً وقاعدةً موفقةً من قواعد الدين الإسلامي الحنيف والدعوة إلى الله تعالى الذي يقول : (ٱدْعُ إِلِىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) .

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

سعيد الأعظمي الندوي
٥/ذو الحجة/١٤٤٤هـ
٢٤/يونيو/٢٠٢٣م

صوم عاشوراء وتاريخه في الكتب السماوية

الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : " قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ! هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم ، فصامه ، وأمر بصيامه [1] ، وفي رواية مسلم : " هذا يوم عظيم ، أنجى الله فيه موسى وقومه ، وغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى " . وزاد البخاري في الهجرة في رواية أبي بشير : " ونحن نصومه تعظيماً له " ، وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : " قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فسُئلوا عن ذلك ، فقالوا : هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون ، فنحن نصومه تعظيماً له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نحن أولى بموسى منكم ، فأمر بصومه [2] ، وروى الطبراني في المعجم : " أنه عليه السلام لما دخل المدينة ، وجد اليهود صاموا عاشوراء ، فسأل أي يوم هذا ؟ قالوا : عاشوراء ، خلص فيه موسى عليه السلام من فرعون ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " نحن أحق باتباع موسى عليه السلام " .

وقد استشكل ذلك العالم الرياضي الكبير أبو الريحان البيروني [3] (م ٤٤٠هـ) ، وشك في صحة الأحاديث الواردة في ذلك اعتماداً على الحساب ، ودراسة التقويم اليهودي ، وتطبيقه بالتقويم العربي ، قال في كتابه : " الآثار الباقية عن القرون الخالية " :

" وقد قيل : إن عاشوراء هو عبراني [4] ، معرب يعني عاشور ، وهو العاشر من " تشري " ، اليهود الذي صومه صوم الكبور ، وأنه اعتبر في شهور العرب ، فجعل في اليوم العاشر من أول شهورهم ، كما هو في اليوم

[1] الجامع الصحيح للبخاري ، كتاب الصوم " باب صيام يوم عاشوراء " .

[2] صحيح مسلم ، ج ١ ، كتاب الصوم ، " باب صوم يوم عاشوراء " .

[3] هو محمد بن أحمد الخوارزمي البيروني العالم الرياضي الفلكي الفيلسوف ، قيل : إنه توفي سنة ٤٤٠هـ ، وقيل : ٤٥٠هـ ، وقيل : غير ذلك .

[4] أقول ، قال ابن منظور في اسان العرب ، ج ٦ ، ص ٢٤٥ : وعاشوراء ، وغشوراء ، ممدودان ، اليوم العاشر من المحرم ، وقيل : التاسع ، قال الأزهري : لم يسمع في أمثلة الأسماء اسم على فاعولاء ، إلا أحرف قليلة " .

العاشر من أول شهور اليهود ، وقد فرض صومه في أول سنة الهجرة ، ثم نسخه صوم رمضان الآتي بعده . وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ، رأى اليهود يصومون عاشوراء ، فسألهم عنه ، فأخبروه ، أنه اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون وآله ونجى موسى ومن معه . فقال عليه السلام : " نحن أحق بموسى منهم " ، فصام وأمر أصحابه بصومه ، فلما فرض صوم شهر رمضان ، فلم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم .

وهذه رواية غير صحيحة ، لأن الامتحان يشهد عليها ، وذلك لأن أول المحرم كان سنة الهجرة يوم الجمعة السادس عشر من تموز سنة ثلاث وثلاثين وتسع مائة للإسكندر . فإذا حسبنا أول سنة اليهود في تلك السنة كان يوم الأحد الثاني عشر من أيلول ، ويوافقه اليوم التاسع والعشرون من صفر ، ويكون صوم عاشوراء يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول ، وقد كانت هجرة النبي عليه السلام في النصف الأول من ربيع الأول .... فما ذكروه من اتفاقهما حينئذ مجال على كل حال " .

وقال : " وأما قولهم : إن الله أغرق فرعون فيه ، فقد نطقت التوراة بخلافه . وقد كان غرقه في اليوم الحادي والعشرين من " نيسن " وهو اليوم السابع من أيام الفطير ، وكان أول فصح اليهود بعد قدوم الذي المدينة يوم الثلثاء الثاني والعشرين من " آذار " سنة ثلاث وثلاثين وتسع مائة للإسكندر ، ووافقه اليوم السابع عشر من شهر رمضان ، فإذا ليس لما رووه وجه البتة [1] .

وكلام البيروني – على غزارة علمه بالرياضيات وذكائه النادر – مؤسس على عدة افتراضات .

فمنها أنه فهم أن هذه المحاورة التي ذكرها ابن عباس وغيره ، كانت في أول يوم قدم فيه النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، لأن ابن عباس رضي الله عنه قال : " لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، أو (لما دخل المدينة) لذلك قال : قد كانت هجرة النبي عليه السلام في النصف الأول من ربيع الأول ، وقد نشأ هذا الوهم لعدم ممارسته لصناعة الحديث ، وجهله لأساليب كلام الصحابة رضي الله عنهم ، وتعبيراتهم ، فهذا أسلوب شائع في أحاديثهم . فقد روى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : " قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر " ، فهل يُفهم من ذلك أن قدومه صادف يوم عيد وفرح عندهم ؟ وهل يمكن أن يصادف يومين يلعبون

[1] " الآثار الباقية عن القرون الخالية " ، ص ٣٣١ .

فيهما ؛ وقد ورد نفس هذا التعبير في تأبير النخل وغير ذلك .

وقد نبَّه على ذلك العلامة ابن حجر العسقلاني . قال : " وقد استشكل ظاهر الخبر لاقتضائه ، أنه صلى الله عليه وسلم حين قدومه المدينة ، وجد اليهود صياماً يوم عاشوراء ، وإنما قدم المدينة في ربيع الأول ، والجواب عن ذلك أن المراد أن أول علمه بذلك ، وسؤاله عنه ، كان بعد أن قدم المدينة ، لا أنه قبل أن يقدمها ، علم ذلك ، وغايته أن في الكلام حذفاً ، تقديره قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقام إلى يوم عاشوراء ، فوجد اليهود فيه صياماً [1] .

إذاً فلا إشكال ولا تناقض بين ما ورد في الحديث ، وبين ما تحقق بالتقويم .

والافتراض الثاني أنه فرض أن صوم عاشوراء المذكور في الحديث ، " هو العاشر من شهر تشري اليهود ، الذي صومه صوم الكبُّور " يعني صوم يوم الكفارة المشهور عند اليهود . واليوم المحتفل به أكثر من كل يوم وصوم ، وهو المذكور في كتبهم وشريعتهم بنفس الصيغة (Yom Kippur) ويقال في الإنجليزية (Day of Atonement) [2] .

وهذا لا يصح ولا يتمشى مع لفظ الحديث ، ونصوص التوراة ، فإنه صوم كفارة عن ذنب كبير ، وجريمة قومية تاريخية [3] ويوم حزن وحداد ، وإيلام نفس ، فقد جاء في اللاويين ، أو سفر الأحبار ، عن صوم الكفارة ، الواقع في عاشر الشهر السابع تشري :

ويكون لكم فريضة دهرية أنكم في الشهر السابع في عاشر الشهر ، تذللون نفوسكم وكل عمل لا تعملون ، الوطني والغريب النازل في وسطكم ، لأنه في هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم من جميع خطاياكم ، أمام الرب تطهرون [4] . وجاء في موضع آخر :

---

[1] فتح الباري ، ج ١ ، ص ٢١٤ و ٢١٦ .

[2] راجع " دائرة المعارف اليهودية " .

[3] لا يبعد أن يكون صوم كفارة عن عبادة العجل التي تورط فيها اليهود على إثر ذهاب موسى إلى ربه الذي قال عنه القرآن الكريم : (وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ، وعوقبوا على هذه العبادة بأن يقتل منهم الأبرياء المجرمين فقد جاء في القرآن : (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ) إلخ . وقد خلف ذلك صوم فرض على أجيال اليهود إلى الأبد ، ويؤيده ما جاء في كتاب " Judaism in Islam " : " قضى موسى أربعين يوماً على الجبل ونزل يوم الكفارة " .

[4] اللاويين ، الإصحاح السادس عشر (٢٩ – ٣٠ – ٣١) الكتاب المقدس ، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد ، " ترجمة مرسلي الجمعية الأمريكانية " ، طبع

" وكلّم الرب موسى قائلاً : أما العاشر من هذا الشهر السابع ، فهو يوم الكفارة محفلاً مقدساً يكون لكم ، تذللون نفوسكم ، وتقربون وقوداً للرب ، عملاً ما لا تعملوا في هذا اليوم عينه ، لأنه يوم كفارة للتكفير عنكم ، أمام الرب إلهكم " [١] .

وجاء في سفر العدد : " وفي عاشر هذا الشهر السابع ، يكون لكم محفل مقدس ، وتذللون أنفسكم عملاً ما لا تعملوا " [٢] .

وبالعكس من ذلك ، فقد جاء في الأحاديث الصحيحة ما يصرّح بأن يوم عاشوراء " الذي شُرع صومه للمسلمين " كان يوم فرح وعيد عند اليهود ، فقد روى البخاري عن أبي موسى الأشعري ، قال : كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " فصوموه أنتم " [٣] ، ولمسلم عن قيس بن مسلم بإسناده : قال : كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء ، يتخذونه عيداً ، ويلبسون نساءهم فيه حليتهم وشارتهم [٤] : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فصوموه أنتم [٥] ، وقد روى كريب بن سعد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : " إن الله تبارك وتعالى لا يسألكم يوم القيامة ، إلا صيام رمضان ، وصيام يوم الزينة ، يعني يوم عاشوراء " [٦] ، إذاً فلا يصح أن يقال : إنه كان يوم الكفارة ، فقد كان هذا اليوم يوم حزن وعقوبة ، وذل ومهانة ، وعاشوراء المذكور في الحديث يوم ترويح للنفس ، وفرح وسرور ، وزينة وتجمل .

وقد وقع في هذا الخطأ والوهم رجال في الشرق والغرب غير البيروني ، واتجه إلى ذلك بعض علماء الحديث في هذا العصر ، وقد جاء في كتاب " اليهودية في الإسلام " (Judaism in Islam) في ذكر يوم الكفارة : " وقد قرره محمد في بداية الأمر كيوم صوم للمسلمين " [٧] .

ولا بد أن نجعل ما قاله اليهود عن عاشوراء ، " أنه يوم صالح ، يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم " ميزاناً في هذا البحث ، فلا بد أن ينطبق هذا الوصف على اليوم الذي نبحث فيه ، وقد جاءت تسمية هذا اليوم الذي نجى الله فيه بني إسرائيل من فرعون وآل فرعون " بأبيب "

نيويورك .

[١] اللاويين ، الإصحاح الثالث والعشرون (٢٦ – ٢٧ – ٢٨) .

[٢] سفر العدد ، الإصحاح التاسع والعشرون (٧) .

[٣] كتاب الصوم " باب صيام يوم عاشوراء " ، ج ٤ .

[٤] قال العسقلاني : أي هيئتهم الحسنة .

[٥] كتاب الصوم .

[٦] أخرجه ابن مردويه ، راجع كنز العمال ج ٤ ، ص ٣٤ .

[٧] Judaism in Islam by Abraham I. Katish New York (١٩٥٤).

صراحةً في عدة مواضع من التوراة ، وهو الذي جرت تسميته " بنيسان " فيما بعد ، جاء في دائرة المعارف للبستاني في مادة " أبيب " (Abib) :

" كلمة عبرانية معناها أخضر ، وهي اسم الشهر الأول من السنة العبرانية ، ووضع اسمه موسى عليه السلام ، وهو يكاد يكون موافقاً لشهر " نيسان " (أفريل) ، وبعد أن سبي الإسرائيليون إلى بابل ، غيروا اسم هذا الشهر ، وسموه نيسان ، أي شهر الزهور ، وفي منتصفه كان عيد الفطير عندهم ، (خروج : ١٢ : ١٨) [١] .

وقد أقرّ بذلك البيروني نفسه : فقال فيما نقلنا عنه : " وأما قولهم إن الله أغرق فرعون فيه ، فقد نطقت التوراة بخلافه ، وقد كان غرقه في اليوم الحادي والعشرين من نيسن (نيسان) وهو اليوم السابع من أيام الفطير " ، وقد جاء في التوراة (خروج – ١٢ – ١٨) : في الشهر الأول في اليوم الرابع عشر من الشهر مساء تأكلون فطيراً إلى اليوم الحادي والعشرين من الشهر مساء " .

وبعد استعراض هذه النصوص ، ودراسة شريعة اليهود وتاريخهم وعاداتهم ، يُرجّح الباحث أن أشبه يوم بيوم عاشوراء ، الذي جاء ذكره في حديث ابن عباس وغيره ، والذي شرع صومه في الإسلام ، وكان عزيمة قبل رمضان ، هو يوم يقع في منتصف شهر (أبيب) القديم ، أو شهر نيسان – كما اعتاد اليهود أن يسموه به بعد جلائهم إلى بابل – وهو عيد من أعيادهم التي يحتفلون بها ، ويظهرون فيها الفرح والسرور [٢] ، وهو يوم وقع فيه خروج بني إسرائيل من مصر وغرق فرعون ، وقد جاء في (الإصحاح الرابع والثلاثون) : " تحفظ عيد الفطير ، سبعة أيام تأكل فطيراً أمرتك في وقت شهر أبيب ، لأنك في شهر أبيب خرجت من مصر " ، وجاء في الإصحاح أيضاً " لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر ، فتحفظ هذه الفريضة في وقتها من سنة إلى سنة " [٣] ، ومن المرجح أنه صادف اليوم العاشر من المحرم الشهر العربي الأول في السنة الثانية من الهجرة ، ثم نسخه صوم رمضان في نفس هذا العام .

وتطبيق الحساب القمري ، والتقويم العربي بالحساب الشمسي ، والتقويم اليهودي تطبيق تخميني تقديري ، بسبب النسيئ الذي جرى عليه

---

[١] يقول البستاني : أما أشهر الإسرائيليين الجارية ، فالشهر الأول من السنة هو شهر تشري ، وهذا يحمل شهر أبيب عندهم الشهر السابع من السنة .

[٢] وقد يستشكل بعض الناس اجتماع الصوم والعيد في يوم واحد ، وهذا ناشيء من قياس الصوم عند اليهود والنصارى على الصوم الإسلامي ، وقد جاء في دائرة المعارف اليهودية عن غرة الشهر السابع : " إنه يوم صوم وعيد " .

[٣] الإصحاح – ١٣ .

العرب قبل الإسلام ، وبعد الإسلام حتى أبطله الله بقوله : (إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) الآية ، وأعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع : " إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، وكان ذلك يوحي من الله تعالى وإلهام . فقد كان التقويم العربي اضطرب اضطراباً لا يهتدى فيه إلى الصواب ، ولا يرجع إلى الأصل القديم بمجرد الحساب ، فلا يصح أن يشك في صحة الأحاديث الصحيحة المستفيضة اعتماداً على حساب تخميني مع اضطراب التقاويم ، وتعددها واختلافها في الجاهلية وفي الإسلام .

ويمكن أن يكون يهود المدينة منفردين بصوم عاشوراء ، قد التزموا صومه وتمسكوا به ، وجاروا فيه العرب الذين كانوا يصومونه إجلالاً لهذا اليوم الذي حدثت فيه الوقائع العظيمة ، وقد صح عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : " كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه " (الحديث [1]) وقد كانت لليهود في أنحاء الأرض ، وفي مختلف الأقاليم والعصور ، عادات في الصيام وأيام مخصوصة يصومها بعض اليهود ، ولا يصومها الآخرون ، وقد تقدم ما جاء في دائرة المعارف اليهودية في الحديث عن الصيام اليهودية :

" وهنالك صيام شعبية علية ، تختلف باختلاف الأقاليم والمناطق التي يسكنها اليهود منذ زمن بعيد " ، ويقول كذلك : " وصيام تصومها بعض الطبقات دون بعض في ذكرى وقائع ومحن في تاريخ اليهود " ، فلا يستبعد أن صوم عاشوراء ، والتزامه في اليوم العاشر من المحرم ، الشهر العربي الأول ، كان من خواص اليهود العرب ، لذلك نرى المصادر اليهودية ساكتة عنه ، وحمله أكثر الباحثين فيهم على صوم يوم الكفارة المشهور العام في الديانة اليهودية ، الذي يصومه جميع طبقات اليهود في جميع المناطق التي يسكنونها ، وسارع إلى القدح في الأحاديث ، والشك في صحتها ، من حمله على صوم يوم الكفارة ، وما هو إلا تسرع في الحكم ، نشأ من عدم إحاطة بعادات اليهود ، ومذاهبهم في مختلف الأقاليم والعصور ، وقلة المصادر والمعلومات عن يهود الحجاز ، واليهود العرب ، الذين عاشوا في جزيرة العرب ، قروناً وأحقاباً ، كأمة ذات شأن وكيان ، وأخلاق وعادات وعقائد ، تأثرت بالبيئة والمحيط ، شأن جميع الأمم والشعوب البشرية ، والحضارات والثقافات ، واللغات ، واللهجات ، وبالله التوفيق [2] .

---

[1] صحيح مسلم : كتاب الصيام " باب صوم عاشوراء " .

[2] استفدنا في هذا البحث من مقال قيم للمرحوم الأستاذ أبي الجلال الندوي ، مجلة " معارف " الشهرية : عدد ٢ ، مجلد ٦٠ ، أغسطس ١٩٤٧م .

(وَٱتْلُ مَآ أُوْحِيَ إِلَيْكَ من كتَاب رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لكَلمَاته وَلَن تَجدَ من دُونه مُلْتَحَداً . وَٱصْبرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بٱلْغَدَوٰة وَٱلْعَشيِّ يُريدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُريدُ زينَةَ ٱلْحَيَاة ٱلدُّنْيَا وَلاَ تُطعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذكْرنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) [الكهف : ٢٧ – ٢٨] .

أمر الله تعالى في هذه الآية نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يتلو أمام الناس ما أوحي إليه من القرآن الكريم ، ولم يقل هناك أن يبلِّغه ، بل يتلوه ، معناه أن يقرأ عليهم ما أوحي إليه من القرآن مراراً وتكراراً ، ثم قال : لا مبدِّل لكلماته ، ليس معناه أن كلمات الله للحال فقط ، ولا حاجة إليها في المستقبل ، بل إن كلمات الله لا تتغير ولا تتبدل إلى يوم القيامة ، وهي درس وعبرة لنا ، ولن يجد الإنسان سواه ملجأً لنفسه ، فإن هذه البيوت والمنازل الدنيوية التي يأوي إليها الإنسان كلها موقتة وضعيفة وضئيلة ، وقد خلق الله جميع وسائل الدنيا ، وكل ما يوجد من وسائل وطرق لوقاية النفوس وصيانتها خلقها الله تعالى ، وليس معناه كذلك أنها خُلقت من غير خالق ، سواء استعملناها أم لم نستعمل ، بل الواقع أن الله خلقها ، ونحن مكلَّفون لاستعمالها ، مثال ذلك أن الأدوية والأدوات الأخرى التي خلقها الله تعالى ، لم تُصنع بنفسها ، فإن الشيئ الذي ينشأ بنفسه يكون له شأن آخر ، وإذا صنعه رجل فكان له شأن ، فإن الشيئ الذي خلقه الله تعالى يتصرف فيه كيفما شاء ، ويسلب منه تأثيره وصلاحيته ، فإنه ليس بنفسه ، بل هو تابع لأمر الله ، وخلقه الله تعالى ، فإذا اعتمد عليه الإنسان كان اعتماده ضعيفاً ، وعلى شفا جرف هار ، وهذه حقيقة ناصعة أن الإنسان لا يجد من دون الله ملتحداً [1] .

[1] قال الإمام ابن كثير : عن مجاهد ملتحداً قال : ملجأ ، وعن قتادة : ولياً ولا مولى ،

مكانة فقراء الصحابة رضي الله عنهم [1] :

كان نشر الإسلام وهداية الناس مما يهمُّ ويشغل بال رسول الله صلى الله عليه وسلم دائماً ، فكان يتمنى أن صناديد كفار مكة إذا أسلموا وهم أغنياء وأثرياء مكة ، أو أسلم واحد منهم أسلمت معه قبيلته كلها ، فكان هذا شغله الشاغل وهمه الوحيد ، لينتشر الإسلام في الدنيا كلها ، وبالنسبة إلى هذا ذكر الله تعالى في الآيات المذكورة أعلاه مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء الكفار الذين يحملون قوةً وتأثيراً في مجتمعاتهم ، لا تتفكر في إسلامهم ، إنهم ثوار وبغاة على دين الله ، وليست لهم قيمة عند الله ، وإن كانت لهم جولة وصولة في الحياة الدنيا ، وأنت تظن أن المؤمنين هم ضعاف الناس مقابل الكافرين ، وأنهم آمنوا بأنفسهم ، وليس لهم وزن في المجتمع ، وأنهم يكونون معنا ، فلا حاجة إلى التفكير في شأنهم ، بل الحاجة إلى التفكير في الذين لهم مكانة في المجتمع ، فلا بد لهم من الاعتناء بأمرهم ، ليس الأمر كذلك ، بل اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، وصاحِبهم ، وأجبر نفسك على الجلوس معهم ، ولا تنظر إلى أن صناديد مكة يسلمون ، لكن بلّغ إليهم الدعوة إلى الله ما أمكن ، وتكلم معهم حول الإيمان بالله ما تيسر ، وقل لهم ما تريد أن تقول لهم ، فالذين قدَّر الله تعالى لهم أن يكونوا كافرين لا يمكنك أن تجعلهم مسلمين ، إنما عليك البلاغ والمجاهدة في الدعوة إلى الله ، أجهِد نفسك على التعايش مع فقراء الصحابة الذين يذكرون الله صباح مساء ، ويمارسون عمل الدعوة والدين .

– وقال ابن جرير : يقول الله : إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك فإنه لا ملجأ لك من الله .

[1] وهم بلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود – قال مسلم في صحيحه : عن سعد بن أبي وقاص قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر ، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا ، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ، ورجلان نسيت اسميهما ، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشاء أن يقع ، فحدث نفسه ، فأنزل الله عز وجل : (وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ) .

ولا تعد عيناك عنهم أي لا ينبغي أن تصرف عينك عنهم ، بحيث تزدريهم ، وتحتقرهم ، فلا تعتبرهم محتقرين [1] ، هؤلاء أرفع شأن عند الله تعالى ، والذين هم أكبر شأناً في الدنيا أقل قيمة عند الله ، فلا بد أن يكون موقفك أن تعتبرهم أرفع شأناً ، أما تقديم الدعوة إلى كفار مكة فلا تتغافل عنه ، ولا تنظر إلى ما أعطيناهم من زهرة الحياة الدنيا ، ولا شك أنهم أصحاب حول وطول في المجتمع ، وهم أغنياء وأقوياء ، يعقد بهم الرجل آمالاً ، وأما ضعفاء القوم فلا يثق بهم الناس كثيراً ، نظراً إلى هذا قال الله تعالى : ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ثم قال إشارةً إلى كبار القوم : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، وليعلم أن القلب لا ينصرف إلا بإذن الله تعالى ، ذلك أن الله فعال لما يريد ، فنسب هذا الأمر إلى نفسه ، أي من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً [2] .

اللافت للنظر في هذه الآية أن كفار مكة كانوا يقولون : نحن نريد أن نحضر مجالسك ، لكن يجلس معك ضعفاء القوم وأراذلهم ، فكيف نجالسهم ؟ أولاً اجعل هؤلاء الضعفاء بعيدين من مجلسك ، وقد فكَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الواقع أن ساعة من الوقت إذا كان ضعفاء الصحابة بعيدين عنه فلا بأس بهم ، وخلال هذه الوقفة يمكن إبلاغ الدعوة إلى صناديد قريش ، فنهى القرآن الكريم عن هذا ، وقال : إن هؤلاء الضعفاء هم خير وأحسن لك ، فلا تطع كلام كفار مكة الذين طبع الله على قلوبهم ، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فكلامهم لا يُعتبر صدقاً ، ثم قال الله تعالى : هؤلاء هم الذين اتبعوا هواهم ، وهم يكفرون بالدين ، فكان أمرهم كسلاً وضلالاً عن الحق الذي أنزل إليهم ، رغم أنه واضح وضوح النهار ، فقل يا محمد لهم بكل صراحة : الحق من ربك ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، لا يضر ذلك الله شيئاً ، وهو غني حميد .

---

[1] قال ابن عباس : ولا تجاوزهم إلى غيرهم ، يعني تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة .

[2] أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ، ولا تكن مطيعاً ولا مجباً لطريقته ، ولا تغبطه بما هو فيه . كما قال : (وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فيه وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) .

عاقبة المؤمنين والكافرين :

(إِنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالمينَ نَاراً أَحَاطَ بهِمْ سُرَادِقُهَا [1] وَإِن يَسْتَغيثُواْ يُغَاثُواْ بمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوجُوهَ بئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً . إِنَّ ٱلَّذينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالحَاتِ إِنَّا لاَ نُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً . أُوْلَـٰئكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى منَ تَحْتهمُ ٱلأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فيهَا منْ أَسَاوِرَ من ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثيَاباً خُضْراً مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكئينَ فيهَا عَلَى ٱلأَرَآئكِ نعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً) [الكهف : ٢٩ – ٣١] .

ذكر الله تعالى في هذه الآية أن الظالمين قد أعد الله لهم جهنم ، أحاط بهم أسوار ، كأنها دائرة مدورة ، أحدقوا بها ، وإذا احتاجوا إلى الماء والطعام واستغاثوا له ، فيوفر لهم ماء حميم أو زيت سخين [2] ، يحرق وجوههم وحلقومهم ، وهم في أسوء مكان ، وأخبث شراب ، هؤلاء وإن كانوا في الدنيا في أحسن حال ، ويتوافر لهم كثير من الوسائل ، لكن تكون حالتهم في جهنم سيئة للغاية .

أما الذين آمنوا وعملوا عملاً صالحاً ، فلن يضيع الله أجرهم ، بل يوفي أعمالهم ، وتكون لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ويزينون فيها بأساور من ذهب ، كما يلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق [3] ، ويتكئون فيها على الأرائك [4] ، ويقضون هناك حياة هنيئة مريئة ، نعم الثواب ، وحسنت مرتفقاً (أي منزلاً ومقيلاً ومقاماً) .

---

[1] السرادق : سور جهنم ، وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لسُرادق النار أربعة جدر ، كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة ، وقال ابن عباس : حائط من نار .

[2] وردت كلمة المهل في الآية : وهي الماء الغليظ مثل دردي الزيت ، هذا قول ابن عباس ، وقال مجاهد : هو كالدم والقيح ، وقال عكرمة : هو الشيئ الذي انتهى حره ، وقال آخرون : كل شيئ أذيب ، وقال الضحاك : ماء جهنم أسود ، وهي سوداء ، وأهلها سود ، وقال ابن كثير : هذه الأقوال ليس شيئ منها ينفي الآخر ، فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها ، فهو أسود منتن غليظ حار ، ولهذا قال : يشوي الوجوه من حره . إذا أراد الكافر أن يشربه ، وقربه من وجهه شواه ، حتى تسقط جلدة وجهه فيه .

[3] السندس : ثياب رفاع رقاق كالقمصان وما جرى مجراها ، وأما الاستبرق فغليظ الديباج وفيه بريق .

[4] الاتكاء : قيل : الاضطجاع ، وقيل : التربع في الجلوس ، وهو أشبه بالمراد هنا ، والأرائك ج أريكة : السرير تحت الحجلة .

الحياة آية كبرى على البعث

بقلم : د . غريب جمعة / جمهورية مصر العربية

ينكر الملحدون في العصر الحاضر قضية البعث والنشور وما يكون بعده من حساب وثواب وعقاب وما ينتهي إليه مصير الناس عند قيامهم لرب العالمين ، إما إلى نعيم مقيم أو إلى عذاب أليم .

ومن العجيب أن يحسب هؤلاء الملحدون أنفسهم أصحاب فكر حر تقدمي (متقدم) يرفض مثل هذه الأساطير البالية التي سيطرت على عقول المؤمنين بها قروناً عديدة ، ولا تزال تتحكم في مسيرة حياتهم .

والحق أنهم ليسوا أصحاب فكر حر ولا تقدمي ، إنهم أصحاب فكر مقيد بقيود المادة وفي قمة الرجعية ، لأنهم قالوا ما قاله أسلافهم من عتاة الكفرة والملحدين ، وقد سجل القرآن عليهم ذلك في مواضع كثيرة نختار منها قوله تعالى : (بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ . قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) . [المؤمنون : ٨١ – ٨٢] .

والمعنى : أي قالوا مثل ما قال الأولون السابقون لهم من الأمم قالوا : أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً بالية أئنا لمبعوثون أحياء ؟ وقالوا : لقد وعدنا نحن وآباؤنا مثل هذا من قبل كثيراً ، ولم يتحقق منه شيئ ، لأنهم لغباوتهم يفهمون أن الإعادة في الدنيا ، وقد قالوا ما هذا الوعد الذي نسمعه إلا أساطير الأولين وأحدوثة من أحاديثهم المكذوبة [1] .

ولن ندخل في جدل عقيم لا طائل تحته ولا سفسطة لا جدوى منها مع هؤلاء الزائغين ، ولكنا نوجِّه حديثنا إلى من يبحث عن الرشد بحث الخبير بقيمته ليمشي سوياً على صراط مستقيم حتى يتمتع بالحياة الطيبة في أولاه وأخراه .

إن من أشد الآيات وضوحاً وأكبرها دلالةً على إعادة الحياة

[1] التفسير الواضح ، د . محمد حجازي ، طبعة الأزهر ، المجلد الرابع ، ج ١٨ ، ص ٤١.

والبعث والنشور هي آية إيجاد الحياة في ملايين الكائنات الحية التي تعيش على الكرة الأرضية ، وإليك التفصيل بعد الإجمال : إن العلم يحدثنا بأن الأرض كانت كتلةً ملتهبةً من النار ، ثم بردت قشرتها على تطاول الآماد ، ثم أوجد الله فيها الحياة آيةً كبرى على كبير قدرته وسعة علمه وسطوة إرادته جل جلاله .

ألا ترى إلى الذرات الميتة كيف تحدث منها الخلايا الحية ، وهذه الخلايا تحتوي على مدهشات المعجزات لأن كل خلية تحمل سنة من سنن التكوين التي أودعها الخالق فيها ، وما أكثر أنواع التكوينات الهائلة التي لا تكاد تحصى ، وتظهر فيها العجائب التي يهتف لسان حالها بسعة علم الله وعظيم قدرته جل جلاله .

وها نحن نشاهد كيف تنفلق الحبة الميتة بسر الحياة ويخرج منها العجب العجاب من الخلق ، بل نرى كيف يدرك نور الإصباح ظلمات الليل فتنفلق عن نور بهيج ساطع يتنفس فيه الصبح لتدب الحياة في الكائنات التي سكنت ليلاً طويلاً لو شاء الله جعله سرمداً إلى يوم القيامة .

يقول الله تبارك وتعالى : (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) . [الأنعام : ٩٥ – ٩٦] .

وتأمل قوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) [الفلق : ١] .

إذ لا ريب أنه الاستعاذة برب الفلق إرشاد رائع إلى عظيم قدرة الله الذي قدرَّه وأجراه . وأل هنا للجنس والاستغراق .

وكون الحياة التي طرأت على الكرة الأرضية حقيقة ملموسة لكل العلماء ، وصدق المعري إذ يقول :

والذي أدهش البرية حيوان مستحدث من جماد

فحدوث الحياة على الكرة الأرضية أدهش البشرية كلها ، وإعادتها نزلة أخرى يدهش أكثر وأكثر ، وآية إعادتها تسلسل البشرية بنظام دقيق محكم مشاهد .

وقد منح الله الإنسان نعمة التعقل والتفكر من بين الأحياء ، وكرَّمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً ، ولا شك أن التعقل

والتفكير يهدي إلى الإيمان بالبعث بعد الممات .

وهذا رجل ممن خلوا يمر على قرية أي بلدة قد تداعت عمائرها وصوَّحت أشجارها وحدائقها ، وأصبحت خاليةً من العمران بعد أن كانت تضج بالحياة والصخب والضوضاء .

فيدهش لرؤيتها ويأخذه العجب كل مأخذ ويتفكر – مستبعداً – كيف تعود الحياة لأحيائها الذين هلكوا ؟ وكيف تنضر الأرض وتخضر بعد الجفاف والتصويح ؟

فأراد الله تبارك وتعالى أن يريه حقيقة ذلك في نفسه وفي طعامه وشرابه وفي حماره الذي يمتطيه فأماته الله مأة عام ثم بعثه مرةً أخرى وأعاد عليه الحياة وأراه كيف أن طعامه لم يتغير ، وكذلك شرابه لم يأسن وأراه بالتالي حماره الذي كان عظاماً نخرةً كيف يجمعها وينشزها ويجري فيها الدم وتُعاد إليها الحياة .

وكيف لا يكون الله على كل شيئ قدير ، وهذه الكرة الأرضية تعج بالملايين من أمثاله وأمثال دابته ؟

وهنا يدرك علماء الأحياء أن الحياة إنما تجري في الخلية بالنفخة الروحية الإلهية فلما أعاد الروح إليه دبت الحياة فيه وفي دابته . وظل طعامه وشرابه محفوظاً أيضاً ليريه أسراره عز وجل في خلقه حقيقة ماثلة أمامه .

ولم يسعه حيال ذلك سوى أن يخضع ويضرع ويهتف من أعماق قلبه : سبحانك لا إله غيرك ولا رب سواك ، وإنك على كل شيئ قدير .

يقول الله تبارك وتعالى مصوراً ذلك المشهد العجيب : (أَوكَالَّذي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَة وَهيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيي هَٰذه اللَّهُ بَعْدَ مَوْتهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مائَةَ عَام ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبثْتَ قَالَ لَبثْتُ يَوْمًا أَوبَعْضَ يَوْم قَالَ بَل لَّبثْتَ مَائَةَ عَام فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامكَ وَشَرَابكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حمَاركَ وَلنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاس وَانظُرْ إِلَى الْعظَام كَيْفَ نُنشزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ) [البقرة : ٢٠٩] .

وهكذا يتبين لأولي البصائر والعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الحياة لأول مرة ، وأبقاها متسلسلةً مطردةً مشاهدةً للجميع وهو سبحانه القادر على أن يعيدها مرةً أخرى كما بدأها أول مرة .

ولكن الملحدين الدهريين أولي العمى والجهل ينكرون ذلك ولا يؤمنون به ، فهذا جدهم الكفور أُبَيٌّ بن خلف (وفي إحدى الروايات العاص بن وائل) يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يفتته ويذروه في الهواء وهو يقول :

يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : " نعم يميتك الله تعالى ، ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار [1] .

ونزل قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ من نُّطْفَة فَإِذَا هُوخَصِيمٌ مُّبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّة وَهُوبِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس : ٧٧ – ٧٩] .

أي لقد استبعد هذا الملحد الكفور وأمثاله إعادة الله ذي القدرة العظيمة – الحياة للأجساد والعظام الرميمة ونسي نفسه وأنه قد خلق من عدم فكان ما علمه من نفسه هو أعظم مما استبعده وأنكره ، ولهذا قال الله تعالى : (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّة وَهُوبِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) .

أي يعلم جميع العظام في جميع أقطار الأرض أين دفنت وأين ذهبت وأين تفتت وتفرقت !!

والملحدون المنكرون للبعث ليسوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط ، بل هم موجودون في كل عصر كما أشرنا في البداية ومقالتهم واحدة وأهدافهم واحدة وهم صنفان وإن تعددت أسماؤهم واختلفت بواعث إلحادهم وكفرهم .

الصنف الأول :

صنف من العامة وأشطار المثقفين وهم أمعات يتبعون كل ناعق ويصدقون بكل ما يسمعون ولا قدرة لهم على التمييز بين العلم والظن والوهم والإفك والدس وسوء التأويل والتهويش، وهؤلاء لا علم لهم بحقائق الأشياء فالحقيقة عندهم ما يلقنونها تلقيناً كما تلقن الأموات ويثبتون عليها دون نقد أو درس أو تمحيص أو تدقيق أو تحقيق .

[1] تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ، طبعة دار الشعب ، ج ٦ ، ص ٥٧٩ .

وهم لا يهمهم الوصول إلى حقائق العلم اليقيني والتعرف عليها بل يكرهون من يكشفها لهم ، هم جماد في جماد أو كما يقول النحاة في أيٌّ : " أيٌّ هكذا خلقت " .

ولو قلت : إنهم صخور صلدة غير قابلة للحركة والتجدد لا تعد والواقع حسبهم انحطاطاً أن كل أمرهم المعتمد منصرف إلى ما تنصرف إليه الحيوانات المرسلة : طعام وشراب وتناسل ثم موت وفناء !!

ولا مسؤولية عن الجرائم والفواحش التي ارتكبوها بل هي في زعمهم انتهاز وذكاء وعبقرية والاستمتاع بالحياة !!

وخلاصة أمرهم أنهم لا يرون وجود شيئ بعد الموت إلى التراب !! تتجدد به الحياة وتنتهي إليه وفيه ختم النهاية الأبدية .

هذا كل إيمانهم في نهاية الحياة ، وهم عنزيون لو اجتمع إليهم كل علماء الأرض وأقاموا لهم كل البراهين العلمية اليقينية فإنهم لا يؤمنون ، ولسان حالهم يقول : " عنزة ولو طارت " والسلام .

الصنف الثاني :

صنف من العلماء الذين يتعمقون في دراسة علوم المادة ويرونها الأولى والأساس ، وكل العوالم ناجمة عنها فلولا المادة لما كان ثمة وجود ما .

ومعلوم أن المادة غير عاقلة ، وأنها لا تتصرف أي شيئ من أعمال الوجود بعلم وقدرة وإرادة بل هم الذين يتصرفون في هذا المنعطف الضئيل من الكون بقدر ما تسمح به مدنيتهم .

وهذا الصنف من العلماء كالأميين من الملاحدة وأشطار المثقفين لا يؤمنون بوجود رب العالمين ، الذي بيده وحده الخلق والأمر والتصرف المطلق والهيمنة على كل المخلوقات دون شريك أو ند أو وزير أو معين .

ولا ريب أن الذي لا يؤمن بالله الخالق العظيم فإنه لا يؤمن بالآخرة ونهاية أرواح البشرية إليها ، بل يعتقدون أن نهاية هذه العوالم المادية القائمة ليست نهاية تبديل وتغيير ، ثم يليها خلق جديد للأرض والسماء ثم الانتقال إلى الجنة أو إلى النار ، وإنما هي نهاية عدم سرمدي محصن .

ولا آخرة ولا جنة ولا نار ، إن هي إلى أساطير وخرافات وأحلام مصورة صوراً مخططةً في الأعصاب ورثاها من القدماء من مخاوفهم من

النهاية المظلمة المهولة والحقيقة الماثلة في الوجود التي تهيمن عليه وتديره هي الصدفة العمياء الصماء ولا شيئ وراءها ، فمنها البداية وإليها النهاية !!

وها هو ذا القرآن المجيد المعجز المتحدي ينادي بحقائق الإيمان الأصيلة ويقدمها إلى البشرية كافةً ، بالبراهين العلمية اليقينية الشاهدة على مدى المدنيات والتطورات العلمية الصاعدة .

ومع هذا الطلب الصريح من منطق آيات وحي الله القرآن المجيد نجد من يجحدونها تقليداً وتألباً لصالح العيش أو بحقد العنصرية أو بإيحاء الباطل ويقاومونها بكل أساليب الأبالسة العُتاه والفجرة الطغاة والظلمة القساة .

ويتميز القرآن بطريقته الفريدة في هداية الإنسان إلى العقيدة الصحيحة وإقامة الدليل عليها ، وهي عقيدة التوحيد وما يتبعها من إيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والنشور .

وهي طريقة فطرية يستطيع كل عقل أن يتجاوب معها دون الحاجة إلى فلسفة ومقدمات كلامية تعقد الأمور وتثقل على العقول وهذه الطريقة هي التفكر الهادي في الخلق تفكراً يخرج منه العقل السليم إلى الاقتناع ببطلان ما تفعله طوائف من البشر من عبادة بعض المخلوقات كالكواكب والنار والحيوان والأحجار بزعم أنها آلهة أو شركاء لله في ألوهيته وبطلان ما يدعي أقوام من أن الحقيقة الماثلة في الكون التي تهيمن عليه وتديره هي المصادفة العمياء الصماء .

وينتهي بالعقل إلا أنه لا معبود بحق ولا خالق بحق إلا الله الذي يملك تمام القدرة وتمام النعمة .

وإذا كان القرآن يتحدث عن التفكر في خلق الله فإنه لم يتحدث عن ذات الله حديثاً مباشراً لأن الذات الإلهية لا يمكن وصفها ولا تصور كنهها ولا الإحاطه بها ولوعلى وجه التفريب .

يقول الشيخ محمد محمد المدني – يرحمه الله – : (بتصرف يسير) وإنما نجد حديث القرآن في هذا الجانب على وجه السلب والنفي فيقول مثلاً : (لَيْسَ كَمثْله شَيْءٌ) [الشورى : ١١] .

أي ليس مثل اللَّه ذاتاً وصفات وأفعالاً شيئ من المخلوقات والعوامل

المحيطة بالإنسان لأنه هو الذي خلقها وخلق ذواتها وأفعالها وصفاتها ولن يماثل المخلوق الخالق في شيئ من ذلك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وبهذه الجملة القصيرة يضع القرآن قانوناً وقائياً عاماً نستعمله كلما احتجنا إلى مدافعة وهم من الأوهام في تصور ذات الله تعالى [1] .

وهذا القانون هو ما عمي عنه المحجوبون عن الله فركبوا متن عمياء ليضربوا بها في بيداء من الضلال البعيد .

ولنقرأ معاً هذه الأبيات التي صدق ناظمها :

تبارك الله في علياء عزته ... وكل كل لسان عن تعاليه
لا كون يحصره لا عين تنظره ... لا كشف يظهره لا جهر يبديه
حارت جميع الورى في كنه قدرته ... فليس يُدرك معنى من معانيه
سبحانه وتعالى في جلالته ... وجل عزاً ولطفاً في تساميه [2]

أما القول بأن المصادفة العمياء هي التي تهيمن على الكون وتديره فهو قول لن نطيل الحديث عنه لأنه بلغ من التهافت والسقوط درجة جعلت أوله يركل آخره وآخره يصفع أوله !!

وتأمل ما يقوله أحد عباقرة الإغريق القدامى في العلم وهو " ديموقريطس " في هذا الصدد يقول ذلك العبقري : " لا يوجد شيئ في الطبيعة اسمه صدفة بل الصدفة خرافة اخترعت لتبرير جهلنا " [3] . ثم يأتي من بعده الأستاذ " أ . كريس موريسون " ليغلق باب القول بالمصادفة بطريقة رياضية بحتة ، وذلك في كتابه القيم : " العلم يدعو إلى الإيمان " ، يقول الرجل :

خذ عشرة " بنسات " كلاً منها على حدة وضع عليها أرقاماً مسلسلةً من (١) إلى (١٠) ثم ضعها في جيبك وهزها هزاً شديداً ثم حاول أن تسحبها من جيبك حسب ترتيبها من (١) إلى (١٠) .

إن فرصة سحب البنس رقم (١) هي بنسبة (١) إلى (١٠) وفرصة

---

[1] خصائص القرآن ، الجزء الأول ، ص ٣٧ .
[2] مجاني الأدب ، جزء ٢ ، ص ٥ .
[3] قصة الحضارة ، وول ديورانت ، الجزء الثاني ، المجلد الثاني ، ص ٢٠٢ .

سحب رقم (١) ، (٢) متتابعين هي بنسبة (١) إلى (١٠٠) وفرصة سحب البرنسات التي عليها أرقام (١ ، ٢ ، ٣) متتالية هي بنسبة (١) إلى (١٠٠٠) وفرصة السحب (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) متتالية هي بنسبة (١) إلى (١٠٠٠٠) وهكذا حتى تصبح فرصة سحب البنسات بترتيبها الأول من (١) إلى (١٠) بنسبة (١) إلى (١٠) ملايين !!

أي عليك أن تحاول ١٠ ملايين محاولةً حتى تخرج هذه البنسات في ترتيبها الأول من (١) إلى (١٠) .

والقصد من هذا المثل البسيط أن أبين لك كيف تتكاثر الأعداد بشكل هائل ضد المصادفة [١] .

الله أكبر (١٠) ملايين محاولة لترتيب (١٠) بنسات من (١) إلى (١٠) فكيف بترتيب هذا الكون الذي لا يعلم حدوده إلا خالقه جل جلاله ؟!!

هل تصنع الصدفة ذلك ؟

ما هذا الكون البديع الصنع ، وما هذا العالم المحكم الترتيب وما هذه السماء وأعاجيبها ، وما بال نجومها وأفلاكها ،وهذه الشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها وما هذه الأرض وما طحاها أخرج منها ماءها ومرعاها وأنبت كل نبت فيها وأرساها وشق فيها أنهاراً وحلاها . وما هذا الليل والنهار وما هذا الفلك الدوار ، ليل يزحف بجحافله ، ونهار يختفي بمعالمه ، ثم لا يلبث أن تعاد الكره بنظام ومسرة .

فهل تصنع الصدفة ذلك كله أم أنه صنع الله الخبير البصير المحكم التدبير الواحد القدير [٢] ؟! إن في ذلك لآيات لأولي الأبصار .

ولنقرأ معاً مرةً أخرى في الختام : (أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ من نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوخَصِيمٌ مُّبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوبِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس : ٧٧ – ٧٩] .

---

[١] الفصل الأول " عالمنا الفذ " من كتاب " العلم يدعوا إلى الإيمان " ، ص ٤٩ .

[٢] التفسير الواضح ، المجلد الأول ، جزء ٤ ، ص ٩٥ و ٩٦ ، طبعة الأزهر .

إصلاح ذات البين : فريضة دينية

الأستاذ طارق أسعد بن أسعد الأعظمي *

لقد زين الله عز وجل هذه الأرض بشتى المخلوقات ، ترى أعيننا الاختلاف ، والتنوع ، والتفاوت ، والتباين في هذا الكون ، ويتعدد هذا التفاوت في جميع شؤون الحياة بأوجه مختلفة من ألوان ، وأموال ، وألسن ، وأقوام . ولا جرم أن هذا التباين يزيد الكون حسناً وبهاءً ورونقاً ، ويمنحه جمالاً وغرة وبهجة ، تخيلْ برهة أن هذا الكون يمشي على غرارة واحدة ، وليس هناك بون ولا بين في الناس لا في ألوانهم ولا في أموالهم ولا في لهجاتهم ، وكلهم سواء وليس بينهم فرق يسير ولا كبير ، فهل كانت الدنيا من الجمال والبهاء مثل هذا الذي نحن فيه ؟

أيها المشتكي وما بك داء ؟
كُن جميلاً تر الوجود جميلاً

فمن هنا تبين أن وجود الخلاف ، والتعدد والتباين أمر فطري مجبول عليه الدنيا ، وأن الأمر سيكون على هذا المنوال إلى أن تقوم الساعة ، وقد أقر الإسلام بهذا ، وجعله من السنن الكونية التى فطر الله عليها هذه الأرض ، وأوضح أن الناس لا يزالون يختلفون بما في طبائعهم من التفاوت والتخالف ، وأنه لا توجد بيئة إلا وقد يوجد بين أبنائها خصومات ومنازعات ، حتى قيل : إنه ليس هناك رجلان في بقعة الأرض يتفقان على جميع نواحي الحياة مائة في المائة مثل البصمات ، إذ لا تتوافق بصمة بصمة أخرى ولا علامات إصبع غيرها ، يقول الدكتور محمد بن عبد العزيز العواجي :

" إن الناس في الحياة على اختلاف ألوانهم وتباين لغاتهم وتباعد أقطارهم – بعضها من بعض – لم يعلم عن أحد منهم في وسط المعمورة ولا في أرجائها : أنه لم يحدث بينهم خصومات ومنازعات ، بل إن الطبيعة الغريزية لتحمل كل إنسان على محبة التغلب والانتصار على منازعه أو خصمه ، فإن كانت صالحة فالمرء يريد استيفاء حقه ، وإن كانت

* مئو ، أترابراديش – الهند .

طالحةً فيريد المرء التغلب والانتصار على الخصم بأي طريقة ، فكثيراً ما تقع الخصومات والمنازعات بين فرد وآخر ، ولذا عُني الإسلام بهذا الشأن فأمر بالصلح ورغب فيه "[1] .

يقول الله عز وجل عن هذا الأمر : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [هود : ١١٨ – ١١٩] .

يقول ابن كثير : "ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم "[2] .

لكن يجب " على كل من المختفين أن يحترم كل واحد منهما الآخر ، ولا يرمي أحدهم الآخر بالبذاءة والفحش والفسق "[3] .

فبعد ما علمنا وجود هذا الاختلاف والتباين في أوساطنا بالضرورة علينا أن نتعرف كيف نتعامل عند حدوث هذه المشكلة وما الواجب علينا إذا وقع الخلاف بيننا ، وما هي الوسائل والطرق لمواجهة الاختلاف والتباين ؟

إن الإسلام شرع الإصلاح ما فسد من العلاقات ، وترقيع ما ثقب من خيط القرابة ، وفتق ما رتق من صلات المودة ، ورأب ما تصدع من حال الوصل والتحابب والتآلف ، يقول سبحانه وتعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) [الأنفال : ١] .

وقال عز من قائل : (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء : ١١٤] .

قال الشيخ رشيد رضا : " أصلحوا نفس ما بينكم ، وهي الحال والصلة التي بينكم تربط بعضكم ببعض ، وهي رابطة الإسلام ، وإصلاحها يكون بالوفاق والتعاون والمواساة وترك الأثرة والتفرق ، – إلى أن قال – وأمرنا في الكتاب والسنة بإصلاح ذات البين ، فهو واجب شرعاً تتوقف عليه قوة الأمة وعزتها ومنعتها وتحفظ به وحدتها "[4] .

---

[1] الإصلاح بين المسلمين في القرآن الكريم : دراسة موضوعية للدكتور محمد بن عبد العزيز العواجي ، ص ٥٣ .

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ٣٦١/٤ .

[3] الإصلاح بين المسلمين في القرآن الكريم ، ص ١٨٠ .

[4] تفسير المنار ، رشيد رضا ، ٥٤٢/٩ .

فإصلاح ذات البين واجب شرعي حيث يتوجب على المسلم إذا وجد طائفتين اختلفتا أو شقيقين تنازعا أو جارين تخاصما أن يقوم بالإصلاح بينهما ، قال تعالى : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [الحجرات : ٩] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة وجاهلية " [١] .

ويقول القرطبي : " والأمر بالإصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر وأنثى ، حر أو عبد " [٢] .

فليس شأن المسلم إذا رأى طائفتين أو رجلين متخاصمين أن يقف ساكتاً صامتاً ، ويتمتع ويتلذذ بمشاجرتهم ، أو أن يوقد نار البغضاء بينهم ، ويشعل قبس العداوة والمعاداة فيما بينهم ، لذلك نجد حشداً من النصوص التي تمنع وتحرم الأمور المؤدية إلى الفساد في المجتمع الإسلامي مثل الكذب ، والنميمة ، والغيبة ، والزور ، والبهتان والافتراء والهمز واللمز والسخرية ، والنميمة ، والقذف ، والشتم والسباب والمراء ، والفجور والجدال ، وعلى جانب آخر تحث الشريعة المطهرة على مكارم الأخلاق التي تحقق وحدة الأمة وتقوي علاقات الأفراد وتؤزر روابط الأشخاص كي يكونوا جسداً واحداً ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ولا تتحقق هذه العضوية الجسدية إلا بعد ما يقوم المسلمون بقلع أشجار المشاجرة والمخاصمة ، وبإيتاء فريضة إصلاح ذات البين ، قال تعالى : (وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها) [الأعراف : ٨٥] .

فعن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت قال : كنت جالساً مع محمّد ابن كعب القرظيّ ، فأتاه رجل فقال له القوم : أين كنت ؟ فقال : أصلحت بين قوم ، فقال محمّد بن كعب : أصبت . لك مثل أجر المجاهدين ، ثمّ قرأ (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ) [٣] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ

---

[١] مجموع الفتاوى ، ١٧ ، ابن تيمية ، ٣١١/ .

[٢] الجامع لإحكام القرآن ، القرطبي ، ١٨١/١٤ .

[٣] إعلام الموقعين ، ابن القيم ، ٦٨٥/٢ .

الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ ، قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ [1] .

" ولا يخفى أن هذا ونحوه مخرّج مخرج الترغيب ، وليس المراد ظاهره إذ لا شك أن الصيام المفروض والصلاة المفروضة والصدقة كذلك أفضل من الإصلاح اللهم إلا أن يكون إصلاح يترتب على عدمه شر عظيم وفساد بين الناس كبير " [2] .

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بهذه المذكورات (الصلاة والصيام والصدقة) النوافل دون الفرائض . قال القاري : " والله أعلم بالمراد ، إذ قد يتصور أن يكون الإصلاح في فساد يتفرع عليه سفك الدماء ونهب الأموال وهتك الحرم أفضل من فرائض هذه العبادات القاصرة ، مع إمكان قضائها على فرض تركها ، فهي من حقوق الله التي هي أهون عنده سبحانه من حقوق العباد " [3] .

ناهيك عن فضل إصلاح ذات البين وبيان أهميته أن الكذب الذي من أكبر الكبائر فقد أباحه الإسلام على هذا الموضع إذا احتيج لإصلاح ذات البين ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا " ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْئٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إلا فِي ثَلاثٍ : الْحَرْبُ ، وَالإِصْلاحُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا [4] .

يقول ابن حزم : " وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ، ولا يسقط الواجب إلا بواجب " [5] .

ثم إن الإسلام أكد أنه إذا فسدت العلاقات الزوجية وحدث بينهما خلاف ضرورة الإصلاح بين الزوجين ويزود المسلمين بتوجيهات قيمة ونصائح مفيدة لتوثيق العلاقة وتثبيت المودة والمحبة ، قال تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِه وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) [النساء : ٣٥] .

---

[1] أخرجه الترمذي ، ٢٥٠٩ ، صحيح الترغيب والترهيب ، ٢٦٩٥ .

[2] روح المعاني ، الآلوسي ، ١٤٠/٣ .

[3] مرقاة المفاتيح ، القاري ، ٣١٥٣/٨ .

[4] أخرجه مسلم ، ٢٦٠٥ .

[5] إحياء علوم الدين ، الغزالي ، ١٩٩/٢ .

" وإن خفتم الشقاق بين الزوجين والمباعدة والمجانبة حتى يكون كل منهما في شق (فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِه وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا) أي : رجلين مكلفين مسلمين عدلين عاقلين يعرفان ما بين الزوجين ، ويعرفان الجمع والتفريق " [1] .

" فواجب الحكمين أن ينظرا في أمر الزوجين نظراً منبعثاً عن نية الإصلاح ، فإن تيسر الإصلاح فذلك وإلا صارا إلى التفريق ، وقد وعدهما الله بأن يوفق بينهما إذا نويا الإصلاح ، ومعنى التوفيق بينهما إرشادهما إلى مصادفة الحق والواقع ، فإن الاتفاق اطمأن لهما في حكمهما بخلاف الاختلاف " [2] .

وقال تعالى : (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) [النساء : ١٢٨] .

" وقد دلت الآية على شدة الترغيب في هذا الصلح بمؤكدات ثلاثة : وهي المصدر المؤكد في قوله : صلحا ، والإظهار في مقام الإضمار في قوله : والصلح خير ، والإخبار عنه بالمصدر أو بالصفة المشبهة فإنها تدل على فعل سجية " [3] .

والعجب كل العجب أننا نشاهد في واقعنا أنه إذا حصل شقاق أو خلاف بين جماعتين ، أو شقيقين ، أو زوجين يتربص بهما بعض الناس الدوائر ، أو يتمتع ويتلذذ بمشاجرتهما ومخاصمتهما ، ويتسلى ويتلعب باختلافهم إضافة على أن ثمة أناساً لا يزالون يبحثون عن مثل هذه المواقف ويتربصون بها ، فإذا وجدوا فرصة يستغلونها ويغتنمونها ولم يلبثوا أن يفتشوا خلل الرماد وميض جمر ، ثم ينفخون فيه حتى يكون له اضطرام والتهاب ، وهذا يسفر عن تشتيت العلاقات وتفريق الشمل وإزالة المودة والرحمة ، وغرس أشجار العداوة والبغضاء ، وتوتر الصلات . ولا غرو أن هذا فعل شنيع وعمل قبيح لا يستحسنه أي فرد ، والشريعة المطهرة قد توعدت هؤلاء الأجناس . فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ .

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ص ١٧٧ .
[2] التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ٤٧/٥ .
[3] التحرير والتنوير ، ٢١٧/٥ .

بيان الحق والباطل في حوارات القرآن الكريم نموذجاً

الدكتور . عبد الواحد بن عبد القادر *

إن الله تعالى أقام الحياة على الصراع بين الحق والباطل ، وهذا من سنة الله ، وأن الحياة لا يسود كلها الخير ، وكذلك لا يسود كلها الشر ، والصراع مستمر والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد هذه الحقيقة .

ويرى الباحثون والدارسون في حركة التاريخ الإنساني ذلك الصراع ويقولون : إنها صراع بين الطبقات أو صراع بين الحضارات وبعضهم يقولون : إنها صراع لأجل البقاء ، ولكن الله تعالى يقرر أنه صراع بين الحق والباطل ونجد في القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد هذه الحقيقة كما قال الله تعالى : (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ) ، (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) وقوله عز وجل : (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ من رَّبِّهِمْ) [1] ، فهذه الآيات وغيرها ليس بالقليل ، تبين حقيقة تاريخ الإنسان ومساره ، وأنه صراع بين الحق والباطل ، وصراع بين الخير والشر . وللقرآن أسماء كثيرة ، ومنها الفرقان لا تخفى في هذا المقام دلالة تسمية القرآن بـ (الفرقان) ، لما فيه من فارق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، ولما فيه من تفرقة بين نهج السماء ونهج الأرض ، وبين تشريع البشر وتشريع رب البشر .

وهذه السنة التي أقام الله عليها الحياة ، تتدرج في المحصلة في سنة الابتلاء التي خلق الله العباد لأجلها ، (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [2] ، فمن وقف في جانب الحق مدافعاً عنه ومنافحاً ، يكون قد عمل عملاً حسناً ، وهدي إلى سواء السبيل . ومن وقف في جانب الباطل ، ونافح عنه ودافع ، يكون قد عمل عملاً سيئاً ، وضل عن سواء السبيل .

وقد أكد أهل العلم هذه الحقيقة ، وأقاموا الدليل عليها من القرآن والتاريخ ، ونحن هنا نذكر من أقوالهم في هذا الصدد . يقرر

* الأستاذ المساعد بقسم البحوث والدراسات العربية العليا ، كلية جمال محمد (حكم ذاتي) ترشي ، ولاية تامل نادو ، الهند .

[1] محمد : ٣ .

[2] الملك : ٢ .

المفكر الكبير والإمام الشيخ محمد عبده [1] أن المصارعة بين الحق والباطل " سنة من سنن الاجتماع البشري " . ويقرر المفسر الكبير سيد قطب [2] هذه الحقيقة أيضاً ، حيث يقول : إن المعركة " لا تفتر بين الحق والباطل ، وبين الإسلام والجاهلية ، وبين الشريعة والطاغوت ، وبين الهدى والضلال " [3] . ونحو هذا ، يقرر الكاتب المشهور الشيخ ابن عاشور [4] أن " المصارعة بين الحق والباطل شأن قديم ، وهي من النواميس التي جُبِلَ عليها النظام البشري " [5] .

ظنون خاطئة :

إن بعض ضعاف الإيمان يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، فيحسبون أن الله يرضى عن الباطل ، ويقبل بالشر ويرخي له العِنان ! لا يتدخل في المعركة بين الحق والباطل ، فيدع للباطل أن يحطم الحق ولا يتدخل لنصرته ! أو يحسبون أن هذا الباطل حق ، وإلا فلِمَ تركه الله يغلب وينتصر ؟! أو يحسبون أن من شأن الباطل أن يغلب الحق في المعركة ، وأن ليس من شأن الحق أن ينتصر ! ثم يدع المبطلين والمفسدين يتمادون في باطلهم ، ويسارعون في إفسادهم ، ويلجون في طغيانهم ! وهذا كله وَهْم وباطل ، وظن بالله غير الحق ، والأمر ليس كذلك . وها هو ذا سبحانه يحسم الموقف فيقول : (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) [6] ، ويقول أيضاً : (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) [7] .

إن الباطل لا يمكن له في هذه الحياة ليستعبد الناس ، وليسخر عباد الله لخدمته وتحقيق مآربه ، بل يجعل الله من الناس من يقوم ضد الباطل ويتصدى له ثم ينصرهم الله ، وهذه هي سُنَّة الله تعالى كما يقول الله سبحانه : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [8] .

---

[1] محمد عبده ، اسمه بالكامل محمد عبده حسن خير الله .

[2] سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي ، ٩ أكتوبر ١٩٠٦م ، ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م .

[3] في ظلال القرآن للسيد قطب – ت – علي بن نايف الشحود ، ص ٢٣٢٨ .

[4] محمد الطاهر بن عاشور ، تونس ، ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م ، ٣ رجب ١٣٩٣هـ/١٢ أغسطس ١٩٧٣.

[5] الشيخ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ١٩٢/١٢ .

[6] سبأ : ٢٦ .

[7] غافر : ٧٨ .

[8] البقرة : ٢٥١ .

العاقبة للحق :

فثبتت حقيقة الصراع بين الحق والباطل وبناء مسار التاريخ عليها ، فجدير بنا أن نثبت حقيقة مرتبة عليها ، وهي أن الحق هو المنتصر في النهاية ، يخبرنا القرآن حول هذه الحقيقة في آيات كثيرة ، تبين أن النصر دوماً في جانب الطرف الذي يدافع عن الحق ، وأن الهزيمة في النهاية واقعة في جانب الطرف المدافع عن الباطل .

فنجد هذا المعنى في قوله سبحانه : (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [1] ، وقوله عز وجل : (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) [2] ، وقوله تعالى : (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [3] ، وقوله عز من قائل : (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) [4] ، وقوله سبحانه : (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) [5] ، وأخيراً لا آخراً قوله تعالى : (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) [6] ولذا أن الباطل وإن حقق انتصارات هنا وهناك ، فإنها انتصارات آنية واهية ، وليست بانتصارات حقيقة واقعية .

نماذج قرآنية :

وقد قصّ القرآن علينا كثيراً من القصص التي تبين أن العاقبة للحق ، وأن الباطل مهما تطاول وبغى وطغى فإنه إلى زوال لابد صائر . نستحضر في هذا المقام بعض النماذج لبيان المقصود .

إن الصراع بين الحق والباطل قد وقعت منذ فجر التاريخ ، ومنذ وجود الإنسان في هذه الحياة ، والصراع بين هابيل وقابيل لا يخفى على أحد ، وهو يمثل صورة أولى من صور هذا الصراع بين الحق والباطل . يذكر الله تعالى الحوار الذي حصل بينهما في القرآن الكريم في سورة المائدة .

قال تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِن

---

[1] الأعراف : ١١٨ .
[2] الأنفال : ٨ .
[3] الإسراء : ٨١ .
[4] الأنبياء : ١٨ .
[5] سبأ : ٤٩ .
[6] الشورى : ٢٤ .

بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لتَقْتُلَني مَا أَنَا بباسط يَديَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنّـي أَخَـافُ اللَّـهَ رَبَّ الْعَالَمينَ . إِنّي أُريدُ أَنَ تَبُوءَ بإِثْمي وَإِثْمكَ فَتَكُونَ منْ أَصْحَاب النَّار وَذَلـكَ جَـزَاءُ الظَّالمينَ . فَطوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخيه فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ منَ الْخَاسرينَ . فَبَعَثَ اللَّـهُ غُرَابًا يَبْحَثُ في الْأَرْض ليُريَهُ كَيْفَ يُوَاري سَوْءَةَ أَخيه قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مثْـلَ هَـٰذَا الْغُرَاب فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخي فَأَصْبَحَ منَ النَّادمينَ [1] .

تفسير ابن كثير :

يقول تعالى مبيناً وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم وهما (قابيل وهابيل) ، كيف عدا أحدهما على الآخر ، فقتله بغياً عليه وحسداً له ، فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه الله عز وجل ، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة ، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين . فقال تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهم نَبَـأَ ابْنَي آدَمَ بـالْحَقِّ) أي اقصص على هؤلاء البغاة الحسدة إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر ابني آدم ، وهما (هابيل وقابيل) فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف . وقوله (بالْحَقِّ) أي على الجلية والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب ، ولا وهم ، ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان ، وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف ، أن الله تعالى شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بابنته من بنيه لضرورة الحال ، ولكن قالوا : كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى ، فكان يروج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر ، وكانت أخت (هابيل) دميمة وأخت (قابيل) وصيئة ، فأراد أن يستأثر بها على أخيه ، فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قرباناً ، فمن تقبل منه فهي له ، فتقبل من هابيل ، ولم يتقبل من قابيل ، فكان من أمرهما ما قصه الله في كتابه .

وقوله تعالى : (لَئن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لتَقْتُلَني مَا أَنَا بباسط يَـديَ إِلَيْـكَ لأَقْتُلَكَ إِنّي أَخَافُ اللَّـهَ رَبَّ الْعَالَمينَ) ، يقول له أخوه الرجل الصالح الذي تقبل الله قربانه لتقواه ، حين توعده أخوه بالقتل عن غير ما ذنب منه إليه (لَئن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لتَقْتُلَني مَا أَنَا بباسط يَديَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَـكَ) ، أي لا أقابلك على صنيعك الفاسد بمثله ، فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة (إِنّـي أَخَافُ اللَّـهَ رَبَّ الْعَالَمينَ) أي من أن أصنع كما تريد أن تصنع بل اصبر واحتسب ، قال عبد الله بن عمرو : أيم الله إن كان لأشد الرجلين ولكن

[1] المائدة : ٢٧ – ٣١ .

منعه التحرج يعني الورع ؛ ولهذا ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار " ، قالوا : يا رسول الله ! هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : " إنه كان حريصاً على قتل صاحبه " ، وقال الإمام أحمد عن بشر بن سعيد : إن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي " ، قال أفرأيت إن دخل علي بيتي فبسط يده إلي ليقتلني ؟ فقال : " كن كابن آدم " ، قال أيوب السختياني : إن أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة (لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، رواه ابن أبي حاتم .

الحوار بين هابيل وقابيل :

" من صور المحاورات التي حدثت بين الأخيار والأشرار ، ما قصه القرآن الكريم علينا في قصة ابني آدم عليه السلام في إطار الحوار . فقد استخدم القرآن العظيم الحوار لتصوير شخصيتين في وضعين متقابلين . وذلك بأن تقف الشخصيتان في حادثة معينة موقفين متباينين . ثم ينطلق الحوار ليعبر عن المعاني التي تجيش في نفس كل منهما [1] .

المعنى العام لهذه الآيات الكريمة :

يأمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يتلو على بني إسرائيل خبر ابني آدم عليه السلام ، وكان هابيل صاحب غنم فنظر إلى خير كثير فتقرب إلى الله تعالى ، ونظر قابيل إلى شر قمحه فتقرب به إلى الله تعالى ، فقبّل الله تعالى قربان هابيل ولم يقبّل قربان قابيل . فحسد قابيل هابيل وهم بقتله ، لكن هابيل قال لأخيه : لئن بدأتني بالقتل فما أنا بالذي أبدؤك بالقتل ، لأنني أريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك .

وشجعته نفسه على قتل أخيه وزينت له القتل ففعل ، فخسر الدنيا والآخرة . فبعث الله عز وجل غراباً يثير التراب من الأرض ليعلم قابيل كيف يستر جيفة أخيه ، وهكذا شعر بالندم على فعلته النكراء " [2] .

---

[1] فضل الله ، الحوار في القرآن ، ص ٣٣١ .

[2] النيسابوري أبو الحسن علي بن أحمد ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، تحقيق :

مقارنة بين نموذجين :

قال تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [1] . في هذه الآية الكريمة يبدأ الحوار بين الأخوين ، ونلاحظ أن الأخ الظالم قد توعد أخاه بالقتل ، دون أن يقيم للأخوة التي بينهما وزناً ، ودون أن يهتم بحرمة الدماء وحق غيره في الحياة ، والذي حمله على ذلك الحسد له على مزية قبول قربانه عند الله عز وجل . وقد أكد تصميمه على قتله لأخيه بالقسم المطوى في الكلام " [2] . هنا يرد الأخ المظلوم بقوله : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) أي : لم تقتلني وأنا لم أجن شيئاً ، ولا ذنب لي في قبول الله تعالى قربَاني ؟ وأنت أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى ، لا من قبلي ، فلم تقتلني ؟ وما لك لا تعاقب نفسك ، ولا تحملها على تقوى الله تعالى التي هي السبب في القبول . أو في هذا جواب حكيم جامع لعدة معان ، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن تقي " [3] . ثم انتقل الأخ التقي من وعظ أخيه بتطهير قلبه ، إلى تذكيره بحقوق الأخوة وما تقتضيه من بر وتسامح فقال كما حكى القرآن عنه : (لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) [4] . أي إن مددت يدك لتقتلني فما أنا بالمجازي لك على السيئة بسيئة مثلها ، فذاك لا يتفق مع صفاتي وشمائلي ، ولست ممن يتصف بهذه الصفة المنكرة التي تنافي تقوى الله والخوف من عذابه لأنني أخاف الله عز وجل وأخشى أن يراني باسطاً يدي إلى الإجرام وسفك الدماء بغير حق ، وهو رب العالمين الذي أمر بالمحافظة على النفوس البشرية وحرّم الاعتداء عليها ففي على عظمته البالغة ، ونصائحه النافعة بالتذكير بعذاب الآخرة " [5] ، فقال : (إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) .

عادل أحمد وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م ، ج ٢ ، ص ١٧٦ – ١٧٨ ، بتصرف يسير .

[1] المائدة : ٢٧ .

[2] طنطاوي ، أدب الحوار في الإسلام ، ص ٣٤٩ .

[3] أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٤٧٦ .

[4] المائدة : ٢٨ .

[5] المراغي ، تفسير المراغي ، ج ٦ ، ص ٩٩ .

أي : إني أريد أن ترجع من صفقة قتلي بأن تحمل إثم تلك الفعلة وتنال عقوبتها ، وكذلك تحمل الإثم الذي كان من أجله أنك أردت أن تقتلني ، لأنك تمردت على المنهج ، حين لم يتقبل ربنا عز وجل قربانك قد أثمت مرتين : الأولى : عند رفضك وعدم قبولك حكم الله ومنهجه ، وهو الذي من أجله لم يقبل الله تعالى قربانك ، والثانية : هو قتلي وأنا لا دخل لي في هذه المسألة ، لأن الظالم لا بد أن يأخذ جزاءه " .

كان الأخ الصالح لا يريد أن يقاتل أخاه دفاعاً عنه ، وكان ينصحه وعندما وجد أن نصيحته قد لا ينفعه ويريد أخوه الخبيث أن يقتله قد ترك الأمر إلى الله وما كان يريد أن يقتل أخاه ويقع في معصية الله ولذا قال : (إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ) [1] .

نتيجة الحوار بين الأخوين :

ما وجد المظلوم أمامه إلا أمرين إما أن يقاتل مع أخيه ويقتله وينال غضب الله أو يستسلم للموت بدون مقاومة ومقاتلة ويموت مظلوماً ويحفظ نفسه من جريمة القتل .

بينما مضى أخوه الظالم فأنفذ عزمه ، وقتل أخاه ، قال تعالى : (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [2] ، أي سولت وسهلت نفسه له الأمر ، وشجعته وصورت له أن قتل أخيه طوع سهل [3] . وأصبح من الخاسرين في دنياه ، لأنه قتل أخاه ، والأخ سند وعون له ، لما بينهما من رحم قوية ورابطة متينة ، وأصبح من الخاسرين في الآخرة ، لأنه ارتكب جريمة من أكبر الجرائم وأشنعها ، وقد وعد الله مرتكبها بالغضب واللعنة والعذاب العظيم " [4] . " وفي قوله تعالى (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ) بيان بأن الإنسان إذا تصوّر القتل العمد وكونه من أعظم الكبائر فهذا الاعتقاد يصير صارفاً له عن فعله ، فيكون هذا الفعل كالشيئ العاصي المتمرد عليه الذي لا يطيعه بوجه البتة . فإذا أوردت النفس أنواع وساوسها ، صار هذا الفعل سهلاً عليه ، فكأن النفس جعلت بوساوسها العجيبة هذا الفعل كالمطيع له ، بعد أن كان كالعاصي المتمرد عليه " [5] .

---

[1] الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ج ٥ ، ص ٣٠٧٦ .
[2] المائدة : ٣٠ .
[3] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٦ ، ص ١٣٨ .
[4] طنطاوي ، أدب الحوار في الإسلام ، ص ٣٥٢ .
[5] الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١١ ، ص ٢٠٨ .

وهنا لابد أن تهبط رحمة الله رعاية لحق تلك الجثة الطاهرة ، وإبقاء على كرامة آدم عليه السلام وولديه ، وهنا لا بد أن يكون درساً يتلقاه ذلك الظالم المغرور ، ولابد أن يكون تلميذاً للغراب ! يتضاءل فهمه أمام حنكة ذلك الحيوان الأسود الضعيف ، وتفنى شخصيته بعد ذلك الدرس المؤلم الذي يتلقاه ذليلاً ، صغير النفس ، معذب الفؤاد "[1] . قال تعالى مصوراً نهاية الحوار : (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)[2] ، أي : " أنه تعالى بعث غراباً إلى ذلك المكان الذي هو فيه ، فحفر برجليه يفتش عن شيئ كالطعام ونحوه ، فأحدث حفرة في الأرض فلما رآها القاتل زالت الحيرة لديه ، واهتدى إلى دفن أخيه المقتول في حفرة مثلها "[3] .

ثم ظهرت حسرته واضحةً جليةً بقوله : (قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)[4] ، أي : " أن القاتل يتمنى الهلاك بعد قتل أخيه ، وبعد أن رأى عملية الغراب في كيفية الدفن ، فكأنه لم يعرف شيئاً ، فها هي ذي مسألة يفعلها غراب ولا تفعلها أنت يا قابيل ، لقد امتلكت قدرة لتقتل بها أخاك ، لكنك عاجز أن تفعل مثل هذا الغراب . فقابيل القاتل لا يقولها إلا بعد أن مر بمعنى نفسي شديد قاس على وجدانه "[5] . (فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) على قتل أخيه لما لحقه من عصيان وإسخاط أبويه وتبشيره أنه من أصحاب النار "[6] .

قيم تربوية من هذا الحوار :

إن هذا الحوار في ضمن هذه القصة يُبرز لنا صورةً حيويةً للشرير والصالح والشر والخير ويظهر للمستمع ، فضاع موقف الشرير وفي المقابل روعة موقف الصالح .

وأن أهل الحق يغلبون أهل الباطل وينصرون عليهم بالصبر والثبات على الحق ، وبالأخذ بأسباب النصر . ومنها قصة يوسف عليه السلام مع

---

[1] المولى ، قصص القرآن ، ص ١٣ – ١٤ .
[2] المائدة : ٣١ .
[3] المراغي ، تفسير المراغي ، ج ٦ ، ص ١٠١ .
[4] المائدة : ٣١ .
[5] الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ج ٥ ، ص ٣٠٨٤ .
[6] أبو حيان ، البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٤٨١ .

امرأة العزيز .

يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز :

يوسف هو نبي من أنبياء الله تعالى ، ويعتبر يوسف عليه السلام من أهم الشخصيات من بني إسرائيل من العهد القديم وهو الابن الحادي عشر ليعقوب عليه السلام والابن الأول لأمه راحيل ، ولقد ذكر الله تعالى يوسف عليه السلام في القرآن في مكانين . وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل وشخصية دينية حسب الأديان الإبراهيمية هن اليهودية ، المسيحية ، والإسلام .

يعتبر يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، من أكثر الشخصيات المعروفة في القرآن الكريم وأنه تعالى قد أنزل سورة باسمه قص قصته وسماها أحسن القصص وأعطاه الله تعالى علم تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وأيضاً معروف بجماله الشديد فهو أخذ نصف جمال الدنيا . فألقاه إخوانه في البئر لحقدهم وحسدهم عليه ولكن الله أراد أن يكون وزير مصر ثم عزيز مصر .

وكان يوسف عليه السلام شديد الجمال ، حسن الخلق . هو تربى في بيت عزيز مصر ، وقد أحبّه العزيز فقرّبه إليه . وظهر الفساد لما كبر وبلغ أشدّه كما ذكر الله تعالى في سورة يوسف قال تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوفِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسه وَغَلَّقَت الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّـه إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . وَلَقَدْ هَمَّتْ به وَهَمَّ بهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّه كَـذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ منْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ . وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ من دُبُر وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَاب قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بأَهْلكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَو عَذَابٌ أَليمٌ . قَالَ هيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ من قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُو منَ الْكَاذبينَ) [1] .

تَفسير الطبري :

" الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوفِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسه وَغَلَّقَت الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّـه إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) يَقُول تَعَالَى ذِكْره : وَرَاوَدَتْ امْرَأَة الْعَزِيز وَهِيَ الَّتِي كَانَ يُوسُف فِي بَيْتهَا (يُوسُف) عَنْ نَفْسه أَنْ يُوَاقِعهَا وَغَلَّقَتِ الْمَرْأَة أَبْوَاب الْبُيُوت ،

[1] يوسف : ٢٣ .

عَلَيْهَا وَعَلَى يُوسُف لَمَّا أَرَادَتْ مِنْهُ وَرَاوَدَتْهُ عَلَيْهِ ، بَاباً بَعْد بَاب . فقالت هَلُمَّ لَك وَادْنُ وَتَقَرَّبْ . قَالَ يُوسُف إذْ دَعَتْهُ الْمَرْأَة إلَى نَفْسهَا وَقَالَتْ لَهُ هَلُمَّ إلَيَّ : أَعْتَصِم بِاَللَّهِ مِنَ الَّذِي تَدْعُونِي إلَيْهِ وَأَسْتَجِير بِهِ مِنْهُ . فقال يوسف عليه السلام إنَّ صَاحِبك وَزَوْجك سَيِّدِي إنَّهُ لا يُدْرِك الْبَقَاء ، وَلا يَنْجَح مَنْ ظَلَمَ فَفَعَلَ مَا لَيْسَ لَهُ فِعْله ، وَهَذَا الَّذِي تَدْعُونِي إلَيْهِ مِنَ الْفُجُور ظُلْم وَخِيَانَة لِسَيِّدِي الَّذِي ائْتَمَنَنِي عَلَى مَنْزِله . وَلا يُفْلِح مَنْ عَمِلَ بِهِ " [1] .

هذه القصة التي يصف الله تعالى أنها أحسن القصص تصوّر لنا الصراع بين الحق والباطل في وجه الحوار بين امرأة عزيز ويوسف عليه السلام . تربى يوسف عليه السلام في قصر العزيز منذ أن اشتراه ولداً صغيراً ، وصار الآن شاباً قوياً بجمال يلفت أنظار كل من رآه وتعجب الناس من جماله وحسن خلقه وشغفت فيه امرأة العزيز وثارت شهوتها الجسمية وانتظرت إلى فرصة لإطفاء لهب الحب والشهوات وعندما كان يوسف عليه السلام في القصر منفرداً معها دعته إلى أن يواقعها فرفض وقال : معاذ الله ، إنه ربي ، أحسن مثواي ، إنه لا يفلح الظالمون .

تكون النعمة أحياناً فتنة ونقمة علينا وهناك أنعم الله يوسف عليه السلام بجمال قد اجتذب إليه النساء كلهن خاصة امرأة العزيز التي في بيتها قد تربى يوسف ونشأ فيه وكانت امرأة العزيز تراه وجماله كل يوم وازداد شهوتها ومالت إليه وصلت نفسها أن تقوم بأمر لا ينبغي لامرأة عزيز بل لأي امرأة ، ويوماً أتت إليه امرأة العزيز وشغفت فيه وجنّ جنونها بما تطلب النساء من الرجال وابتلي يوسف ، وطلبت منه أن يواقعها ، كان الموقف عصيباً على يوسف إذ توافرت كلّ المغريات أمامه ، فقد كان يوسف شاباً فتيّاً تتفجّر فيه شهوات النّفس ، ولكنّ الله جلّى سبحانه وتعالى يعصم أنبياءه من المعاصي ، فنجّاه الله سبحانه وتعالى من فتنتها وحماه من الوقوع في شباكها الرّذيلة . فقد تشاور القوم بعد انكشاف مكر امرأة العزيز في أمر يوسف ورأوا أن المصلحة تقتضي وضعه في السّجن فوضعوه في السجن ، فصبر يوسف على كلّ ذلك حتى أتاه أفرجه الله فأخرجه الملك من السّجن وقرّبه إليه وجعله عزيز مصر ومسؤولاً عن

[1] جامع البيان في تفسير القرآن ، والمعروف بـ " تفسير الطبري " للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبي جعفر الطبري .

خزائنها ، فكانت العاقبة ليوسف أن أكرمه الله بمكانة في الدّنيا جزاءً على صبره .

الخاتمة :

لقد امتاز كتاب الله تعالى بصفات عديدة وخصائص ، ولم تكن لأي كتاب سماوي آخر سواه ، وهو خالٍ على مر العصور والأجيال والشمول لكل مناحي الحياة الإنسانية وهو كتاب الدين ، والدين هو منهج الحياة الذي يهدي الإنسان إلى الأمن والسلام والنجاح في الدنيا والآخرة .

ومن خصائصه أيضاً أنه ما ترك شيئاً إلا ذكره الله في كتابه وأنزل الله تعالى القرآن تبياناً لكل شيئ وتقدم الإنسان في مجال العلوم واكتشافاتهم التي تكون تأييداً لما جاء في القرآن الكريم من المعلومات والمجملة من الحقائق العلمية وتفكر الإنسان في الكون ومخلوقاته تعالى يقود الإنسان إلى معرفة الله تعالى وقدرته ، ولذا تطورات علمية لن تكون جاحدةً للحق بل تكون مثبتةً لوجود الله تعالى وبرهاناً عليه ولذا تفكر الإنسان في المخلوقات وتدبره للقرآن واجب على الإنسان إلى يوم القيامة ولأن الأزمنة تبين القرآن ، وما فيه من الأسرار العلمية بياناً وافياً .

في قصة هابيل وقابيل ، إن الله سبحانه وتعالى يبين لنا الأسباب التي أدت إلى القتال والمعاركة فيما بينهما ، والسبب الرئيسي هو الحسد وحب الشهوات ، وإن الحسد يذهب الحسنات ويهلك صاحبه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد ، والبغضاء وهي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين " .

وصار إبليس الشيطان المردود من رحمة الله تعالى بسبب الحسد على الإنسان أي أبو البشر آدم عليه السلام وكذلك نرى أن حب الشهوات سبب رئيسي في قضية هابيل وقابيل ، وكذلك في قضية يوسف عليه والسلام وحب الشهوات جعل قابيل عاصياً لأمر الله تعالى وكذلك حب الشهوات جعل امرأة العزيز تدعو يوسف إلى فسق وذنب عظيم وكذا نرى أن الحق والباطل يتقاتلان دائماً في مستوى الأفراد والأمم ولكن في الأخير ينتصر الحق على الباطل وهذا ما عرفناه من قصة بني آدم هابيل وقابيل وقصة يوسف وامرأة عزيز .

قواعد علم أصول الفقه وأثرها على تفسير نصوص القانون

بقلم : الدكتور إبراهيم محمد موسى محمد *

المطلب الأول : مفهوم القواعد الأصولية :

الفرع الأول : تعريف القاعدة لغةً واصطلاحاً :

أولاً : القاعدة لغةً : القاعدة جمعها قواعد ، ومادة قَعَدَ في اللُّغة تفيد معنى :

١. الاستقرار والثبات ، ومنه قوله تعالى : (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً) [النور : ٦٠] ، جمع قعيدة ، سُمِّيَنَ بذلك لثبوتهنَّ ، واستقرارهنَّ في بيوت آبائهنَّ ، أو أوليائهنَّ ،أو أزواجهنَّ [١] .

٢. ومن معاني القاعدة : الأساس ، فقواعد البيت أساسه ، ومنه قوله تعالى : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) [البقرة : ١٢٧] . وأما في الفقه وأصوله فسميت القاعدة بذلك ، وذلك لبناء الأحكام الفقهية عليها كابتناء الجدران على الأساس [٢] .

القاعدة اصطلاحاً :

وقد عَرَّف الفقهاء القاعدة بمعناها العام تعريفات عدة – لا مجال لذكرها في البحث – نختار منها : " أنها قضية كلية يتعرف منها أحكام جزئيات موضوعها [٣] .

الخلاصة :

إذاً وفقاً لما سبق من تعريفين أن القاعدة في اللغة لها عدة معان ، منها الاستقرار والثبات ، وهذا المعنى يتوافق مع موضوع البحث ، إذ أن طبيعة النص القانوني الثبات والاستقرار ، والمعنى الثاني : الأساس ، وهذا أيضاً يتوافق مع قولنا أساس الحكم المادة كذا وكذا ، وأساس الحكم قوله تعالى ... إلخ .

---

* رئيس قسم أصول الفقه بكلية القانون ، جامعة الرباط الوطني ، المغرب .

[١] ابن فارس ، أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ج ٥ ، ص ١٠٨ .

[٢] ابن منظور ، أبو الفضل ، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ ، ج ٣ ،ص ٣٦١ وما بعدها .

[٣] أبو البقاء الكفوي ، أيوب بن موسى الحسيني ، الكليات ، ط : مؤسسة الرسالة ، دمشق ، ٢٠١١م ، ص ٧٢٨ .

المطلب الثاني : القواعد الأصولية عند تفسير القانون :

فإن علاقة القانون والقواعد الأصولية الفقهية والقانون علاقة قديمة ، بل هي علاقة لا يُمكن الاستغناء عنها البتة ، إذ أن النصوص القانونية تحتوي على الأوامر والنواهي ، والعام والخاص ، والمطلق والقيد ، والنص والظاهر ، والمجمل والمتشابه ، والتعارض والترجيح ، ولا يمكن تحقيق العدالة وتطبيق النص القانوني إلا عبر القواعد الأصولية عند تطبيق أي نص قانوني ، وذلك تحقيقاً للعدالة وتجنباً للتطبيق الخاطئ للقانون والعدالة ، فلا يستطيع القاضي أو المحامي فهم النص أو تفسيره تفسيراً صحيحاً إلا إذا استصحب معه القواعد الأصولية عند تطبيقها ، لذا فإنه من الضرورة بمكان أن يهتم القاضي والمحامي والمشرِّع بالقواعد الأصولية والفقهية .

وعليه سنساعد القارئ في تناول بعض من هذه القواعد الأصولية ، والذي يساعد القاضي والمحامي عند تفسير نصوص القانون ، ولكن سيذكر الباحث ثلاث قواعد أصولية فقط في هذا المطلب ، لأن طبيعة البحث تقتضي الاختصار ، وهي على النحو التالي :

القاعدة الأولى : لا اجتهاد مع النص :

يجب أن تكون عقيدة القاضي وقناعته مبنيةً على القواعد الأصولية لاسيما هذه القاعدة ، أي أنه لا يجوز أي اجتهاد مع وجود نص قانوني واضح صريح ، حتى وإن كان ذلك يخالف مذهبه أو قناعته الشخصية ، فإن القاضي جهة تطبيق القانون والعدالة ، الاجتهاد والتفسير لأي نص صريح مخالف لمبادئ العدالة وتطبيق القانون .

وقد جرت عادة القضاء السوداني في استيعاب القواعد الأصولية عند تفسير القانون وتطبيقه ، وقد ورد في ذلك سوابق قضائية كثيرة منها :

سابقة قضائية :

عبد الرحمن فرح سنادة " الطاعن "

(ضد)

مجلس معاشات القضاة " المطعون ضده .

الرقم : م/ط/أ س من ٢٠١٢/٤/٢٣م والتي جاءت أن القرار المطعون فيه أصاب عندما أسند إلى المادة ٤(١) من قانونٍ القضاء الإداري لسنة ٢٠٠٥م في شطب الطعن لعدم الاختصاص عملاً بالقاعدة : " لا اجتهاد مع النص " .

واختلف أعضاء المحكمة العليا المكونون من ثلاثة قضاة : مولانا سعودي كامل السيد ، ومولانا علي أحمد قشي ، ومولانا الأمين عوض علي .

واختلف الأعضاء على رأيين :

الرأي الأول : يرون أنه : " لا يقتصر اختصاص قاضي المحكمة العليا المختص بنظر الطعون الإدارية على نظر الطعون في القرار الصادر من الجهات المذكورة في المادة ٤(١) من قانون القضاء الإداري لسنة ٢٠٠٥م .

والرأي الثاني : رأي مخالف يرى أن : " القرار المطعون فيه أصاب عندما استند إلى المادة ٤(١) من قانون القضاء الإداري لسنة ٢٠٠٥م في شطب الدعوى لعدم الاختصاص عملاً بالقاعدة : " لا اجتهاد مع النص " .

الخلاصة :

يرى الباحث في السابقة أعلاه أن صاحب الرأي الثاني قد أصاب عند تمسكه بقاعدة لا اجتهاد مع النص ، وعليه فإن الباحث يرى أن رأي الأول في محاولة تأويل النص الواضح الصريح وتفسيره من قانون القضاء الإداري لسنة ٢٠٠٥م لم يجانبهم الصواب في ذلك ، لأن النص واضح وصريح ، إذاً يجب تطبيق قاعدة لا اجتهاد مع النص ، لأنه أقرب لتطبيق القانون .

القاعدة الثانية : تخصيص العموم بالنية والقصد :

وهذه القاعدة تتوافق مع مبادئ القانونية العظيمة عند تطبيق القانون ، خاصة في قضايا الجنايات ، ومحاولة تفسير حسن نية المتهم أو سوء نيته أمر واجب ولازم لتطبيق العدالة ، لذا فإن المشرِّع السوداني لسنة ١٩٩١م في المادة (٣) قد عرف كلاً من مصطلح سوء قصد ، وحسن نية . وعرف المشرع " سوء قصد : بأنه : " يُقال عن الشخص أنه فعل شيئاً " بسوء قصد " إذا فعله بقصد الحصول على كسب غير مشروع لنفسه أو لغيره ، أو تسبب بخسارة غير مشروعة لشخص آخر .

وعرف " حسن نية " في نفس المادة بأنه " يُقال عن الشخص أنه فعل الشيئ ، أو اعتقده بحسن نية ، إذا حصل الفعل أو الاعتقاد مع سلامة النية وبذل العناية والحيطة اللازمتين .

إذاً فإن قاعدة الأصولية " تخصيص العموم بالنية والقصد " وهذا يتوافق تماماً مع مبادئ القانون الجنائي ، وهذا ما أراد الباحث

في هذا البحث .

القاعدة الثالثة : " كل عام يحتمل التخصيص " :

وهذه القاعدة تتوافق مع قاعدة القانونية المتعارف عليها " الأصل والاستثناء " ما من أصل في القانون إلا وله استثناء على سبيل المثال لا الحصر المادة (١٣٠) من القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م أنه من حيث الأصل القاتل يقتل ، وهذا عام ، وخصص العام بالاستثناء تحت المادة (١٣٠) وجعل لها عشرة استثناءات .

ويكتفي الباحث بهذا القدر من القواعد الأصولية المتعلقة لتفسير القانون وتطبيق العدالة ، وهذا يفتح آفاقاً للقارئ في التوسع في الموضوع .

الحقيقة الأصولية وأثرها على تطبيق النصوص القانونية :

المطلب الأول : مفهوم الحقيقة الأصولية :

فإن الحقائق في علم أصول الفقه ثلاثة أنواع : الحقيقة الشرعية ، والحقيقة اللغوية ، والحقيقة العرفية . والتفصيل على النحو التالي :

الفرع الأول : تعريف الحقيقة لغةً واصطلاحاً :

أولاً : الحقيقة في اللغة : الحقيقة في اللغة مأخوذة من حقَّ يحقُّ حقّاً وحقيقةً ، يقال : حقَّ الشيئ إذا وجب وثبت ، ومنه قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ) [غافر : ٦] ، وحققَتُ الأمر وأَحققته أحقه إذا تيقنته أو جعلته ثابتاً لازماً ، وحقيقة الشيئ : منتهاه وأصله المشتمل عليه [١] .

قال ابن فارس : " حق الحاء والقاف أصل واحد ، وهو يدل على إحكام الشيئ وصحته ، فالحقُّ نقيض الباطل ، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق ، ويقال : حقَّ الشيئ : وجب " [٢] .

الخلاصة :

إذا أطلق الحقيقة في اللغة يُراد بها أحد المعاني التالية :

- الوجوب ، والثبوت ، واللزوم .
- الإحكام ، والصحة .

---

[١] الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٣٠هـ ، ط ٣ ، ١٩٩٧م ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .

[٢] ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ ، ج ٢ ، ص ١٥ .

- غاية الشيئ ، ومنتهاه ، وأصله وماهيته .
- التيقن ، والجزم ، والقطع .

ثانياً : الحقيقة اصطلاحاً : وعرف الحقيقة اصطلاحاً عدة تعريفات منها :

١. " أنها اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ له " [١] .
٢. وزاد عليه السبكي " في اصطلاح التخاطب " [٢] ، لأنه إذا كان التخاطب باصطلاح ، واستعمل فيما وُضِعَ له في اصطلاح آخر ، لمناسبة بينه ، وبينما وُضِعَ له في اصطلاح التخاطب ، كان خارجاً عن حد الحقيقة ، مع أنه لفظ مستعمل فيما وُضِعَ له .
٣. ومنها قول الآمدي : الحقيقة هي " اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ له أولاً " [٣] . ليخرج مثل ما سبق إيراده في التعريف السابق .

هذه العبارات وغيرها ذكرها الأصوليون لتعريف الحقيقة ، وهي وإن كانت مختلفةً في ألفاظها إلا أنَّ معناها واحد ، وهو استعمال اللفظ فيما وُضِعَ له بحسب اصطلاح التخاطب [٤] .

الفرع الثاني : أقسام الحقيقة الأصولية :

فإن الحقائق في علم أصول الفقه ثلاثة أنواع : الحقيقة الشرعية ، والحقيقة اللغوية ، والحقيقة العرفية . والتفصيل على النحو التالي :

أولاً : الحقيقة الشرعية :

الشرعية لغةً واصطلاحاً : الشرعية في اللغة مأخوذة من شرع . قال ابن فارس : شرع : الشين والراء والعين أصل واحد ، وهو شيئ يُفتح في امتداد يكون فيه ، من ذلك الشريعة ، وهي مورد الشاربة الماء ، واشتق من ذلك الشرعة في الدين والشريعة ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً

---

[١] الأنصاري ، عبد العلي محمد بن نظام الدين ، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر ، ط ١ ، ١٣٢٢هـ ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

[٢] السبكي ، علي بن عبد الكافي ، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، تحقيق جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ط١ ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

[٣] الآمدي ، علي بن محمد ، الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق : سيد الجميلي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، ط ١ ، ج ١ ، ص ٢٦ .

[٤] القرافي ، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، طبع دار الفكر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ص ٤٢ .

وَمِنْهَاجاً) [المائدة : ٤٨] [١] .

والشرع في الاصطلاح : " ما شرع الله تعالى لعباده من الدين [٢] .

مفهوم الحقيقة الشرعية عند الأصوليين :

عرَّف الأصوليون الحقيقة الشرعية بتعريفات عدة ، اختلفت ألفاظها واتحد معناها ، أهمها ما يأتي :

١. عرَّفها الرازي بقوله : " هي اللفظة التي استفيد من الشرع وضعها للمعنى سواءً كان المعنى واللفظ مجهولين عند أهل اللغة أو كانا معلومين [٣] .
٢. وقال الآمدي : " هي استعمال الاسم الشرعي فيما كان موضوعاً له أولاً في الشرع " [٤] .
٣. وعرفها السبكي بأنها : " اللفظة التي استفيد وضعها للمعنى من جهة الشرع " [٥] .

الخلاصة :

وهذه التعريفات وغيرها اتفقت في معناها الدال على اختصاص الشرع بالمعنى المراد من اللفظ المستعمل في الخطاب الشرعي .

ثانياً : الحقيقة اللغوية :

مفهوم الحقيقة اللغوية : " وهي اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ له أصلاً " [٦] .

ومثالها استعمال كلمة " الأسد " للحيوان المفترس المعروف ، واستعمال كلمة " الصلاة " للدلالة على الدعاء .

---

[١] ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ ، ج ٣ ، ص ٢٦٢ .

[٢] البعلي ، شمس الدين محمد بن أبي الفتح ، المطلع على أبواب المقنع ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٨٥هـ ، ط ١ ، ص ٣٨٩ .

[٣] الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ، المحصول في علم الأصول ، دراسة وتحقيق : طه جابر العلواني ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .

[٤] الآمدي ، علي بن محمد ، الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق : سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، ط ١ ، ص ٢٧ .

[٥] السبكي ، علي بن عبد الكافي ، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، تحقيق : جماعة العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ط ١ ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .

[٦] المرجع السابق .

ثالثاً : الحقيقة العرفية :

مفهوم الحقيقة العرفية : وهي " اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ له بعرف الاستعمال " [1] .

والاسم يصير عرفياً باعتبارين :

أحدهما : أن يخصص أهل اللغة بالعرف الاسم ببعض مسمياته الوضعية ، كتخصيص الدابة بذوات الأربع ، مع أنها في أصل الوضع لكل ما يدبُّ على الأرض [2] .

والاعتبار الثاني : أن يكون الاسم في أصل اللغة قد وُضِعَ لمعنىً ، ثم كَثُرَ استعماله فيما له نوع مناسبة وملابسة فيه بحيث إذا أُطلق لا يفهم المعنى الأول ، كالغائط فإنه موضوع في الأصل للمكان المطمئن من الأرض التي تُقضى فيها الحاجة غالباً [3] .

وأطلقه العرف على الخارج المستقذر من الإنسان كنايةً عنه باسم محله لنفرة الطباع عن التصريح به [4] .

المطلب الثاني : الحقائق الأصولية الثلاث وأثرها على تطبيق القانون :

وفي هذا المطلب يستنبط الباحث الحقائق الأصولية الثلاثة وأثرها على تطبيق القانون ، ويرى الباحث أن فهم دلالات الأصولية للحقائق الشرعية واللغوية والعرفية ضرورة من الضروريات في تطبيق القانون ، وإذ أن الحقيقة العرفية مصدر من مصادر القانون ، وما من قانون في أي دولة من الدول في العالم إلا وكان من مصدرها العرف .

والعرف مؤصل في الشريعة الإسلامية : قال تعالى : (خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ) [الأعراف : ١٩٩] .

---

[1] ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد ، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ١٤٢٣هـ ، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

[2] الحسيني ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية ، مصر ، ج ١ ، ص ٢٤ .

[3] ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ ، ج ٣ ، ص ٤٠٢ .

[4] السبكي ، علي بن عبد الكافي ، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، تحقيق : جماعة العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ط ١ ، ج ٢٧٥ .

ومن القواعد الفقهية الواردة في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لسنة ١٩٩١م السوداني في المادة (٦) " العادة محكمة " .

وعليه فإن الحقائق الأصولية الثلاث قواعد الشرعية ، واللغوية ، والعرفية ، واجب اتباعه عند تطبيق القانون ، وخاصة الحقيقة الشرعية ، ومجال تطبيق هذه الحقائق في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين السوداني لسنة ١٩٩١م والذي نصت صراحة في المادة (٦) على أنه يجب على القاضي استصحاب المبادئ الأصولية الفقهية لدى تطبيق القانون .

ولذا فإن التعامل مع القواعد الأصولية والحقائق الأصولية أمر لازم بنص القانون ، وهذا يؤكد على أهمية هذه القواعد والحقائق عند تفسير القانون ، وسنذكر بعضاً من هذه القواعد والحقائق ، وهي على النحو التالي :

القاعدة الأولى : " الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً " :

ويجب على القاضي عند تطبيق القانون مراعاة هذه القاعدة الأصولية ، لأن الأصل في قضايا الأحوال الشخصية " الصلح " لا الغرامة أو السجن ، والأصل في ذلك قوله تعالى : (وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ) [النساء : ١٢٨] . وقوله سبحانه : (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً) [النِّسَاء : ٣٥] .

لذا فإن الأصل في قضايا الأحوال الشخصية كالتطليق أو النزاع بين الزوجين وغيرها ، هو اتباع هذه القاعدة وتطبيقها لأنها تطبيق للقانون وأقرب للعدالة .

القاعدة الثانية : " اليقين لا يزول بالشك " :

أي ما بني على يقين لا ينفى بالشك ، ما بني على يقين فهو صحيح ما لم يأت يقيناً مثله في نفيه وإنكاره ، ويجب على القاضي اتباع هذه القاعدة في أي دعوى مقدمة أمامه ليس فيها أدلة كافية وإثبات عليها بل يجب رفض الدعوى من حيث الأصل بناءً على هذه القاعدة لأن الأصل مابني على يقين لا يزال بالشك وعدم الأدلة والإثبات .

القاعدة الثالثة : " العادة محكمة " :

لقد سبق شرح هذه القاعدة وأهميتها للقاضي ، إذ أن العرف مصدر من مصادر القانون ، وعليه أن يراعى أعراف البلد عند تطبيق

القانون ، وهذا أمر لا بد منه .

القاعدة الرابعة : " الضرر يُزال " :

وهذه القاعدة تمنع الضرر مطلقاً ، بل تمنع وقوعها ، وتتوافق مع القاعدة القانونية أي ضرر لحق بشخص أو تسبب له ضرراً يستوجب التعويض ، والشرح في هذا الباب يطول ، ولكن فإن الضرر اهتمت به الشريعة الإسلامية والقانون على حدٍ سواء في رفع الضرر الواقع لشخص ، بل أوجبا التعويض عليه . وعليه فإنه يجب على القاضي مراعاة مقدار الضرر وما تسبب به الضرر ، وكيفية التعويض تطبيقاً لهذه القاعدة الأصولية والفقهية .

الخلاصة :

وقد جرى الاستدلال بهذه القواعد الأصولية الشرعية عند القضاء السوداني ، كما ورد ذلك في عدة سوابق قضائية ، منها ما فسرت هذه القواعد ، ومنها ما استنبط منها الأحكام ، على سبيل المثال :

سابقة قضائية :

حكومة السودان / ضد / الأمين محمد أحمد

(م ع / فحص ج/١٢/١٩٨٤) . والتي جاء فيها :

– أن المحامي نجيب مصطفى حسن نيابةً عن المتهم يرى :

أن الأصول الشرعية وبالأحرى القواعد الأصولية هي ما يستعان بها على استخراج الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، والقواعد الأصولية بهذا المعنى فهي قوانين يعمل في ضوئها ويهتدى بهديها في استنباط الأحكام .

إذاً أن محامي الاتهام يرى أن القواعد الأصولية الشرعية والفقهية قانون يُعمل بها .

– إلا أن تفسير المحكمة العليا جاء بأن : " القواعد الأصولية والقواعد الفقهية ليست أحكاماً شرعيةً بالمعنى المقصود في المادة ٢٣٩(١) من قانون الإجراءات الجنائية لسنة ١٩٨٣م .

لذا يرى الباحث فإن تفسير المحكمة العليا للقواعد الأصولية والفقهية قد أصابت لقولها أنها ليست أحكاماً شرعياً ، لأن الحكم الشرعي والأدلة الشرعية محددة في علم أصول الفقه ، وعليه فإن المحامي في قوله أنها قانون يعمل بها لم يجانبه الصواب في هذا ، ولكن قد أصاب

في جزئية قوله : " يستعان بها على استخراج الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية .

وعليه فإن القواعد الأصولية والشرعية ليست أحكاماً شرعيّاً ولا قانوناً ، ولكن يجب الاستعانة منها إذا كان النص الشرعي ليس قطعي الدلالة والثبوت ، كما يجب الاستعانة بها عند تفسير نص قانوني غير واضح الدلالة والمعنى .

الخاتمة :

وفي الختام نحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه ومنه وكرمه على إتمام هذا البحث ، وهذا وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، وأرجو من القارئ التوسع في الموضوع .

النتائج والتوصيات :

وقد توصل الباحث على عدد من النتائج والتوصيات منها :

أولاً : النتائج : توصل الباحث إلى :

١. أن أصول الفقه له دور كبير في تفسير القانون وفهم النصوص .
٢. وأن القواعد الأصولية تساهم في فهم القاضي للنصوص .
٣. وأن مراعاة دلالات الألفاظ في الحقائق الشرعية والعرفية واللغوية يساعد في تطبيق العدالة والقانون .
٤. وأن فهم علم أصول الفقه وقواعده ودلالاته بات أمراً ضرورياً في مجال تطبيق القانون .
٥. وأن أصول الفقه والقانون يكمل بعضهما البعض في تطبيق القانون والعدالة .

ثانياً : التوصيات : يوصي الباحث :

١. القارئ بمزيد من الاهتمام والاطلاع والتوسع في هذا المجال .
٢. القاضي والمحامي على أن يتفقها ويتعمقا في علم أصول الفقه والقانون .
٣. الاستعادة بقواعد الأصولية عند تطبيق أي نص قانوني .
٤. القاضي مراعاة القواعد الأصولية ودلالاتها عند تفسير القانون .
٥. الاهتمام بالعلم والتفقه قبل تطبيق القانون .

منهج تفسير القرآن وكيفية فهمه

أمالٍ تفسيرية للإمام المفسر أحمد علي اللاهوري

بقلم : الأستاذ إرشاد أحمد السالارزئي*

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على رسوله النبي الكريم أما بعد . فلا ريب أنَّ علم تفسير القرآن الكريم له أهمية بالغة تتمثل في فهم القرآن بطريقة أفضل ومعرفة الأحكام الشرعية الواردة فيه ، كما يعمل على تثبيت أصول العقيدة في النفس ، بالإضافة إلى المساعدة على معرفة أحداث السيرة النبويَّة وأخبار الأمم السابقة ، وسوف نشرح – فيما يأتي – هذه المنافع الحاصلة من علم التفسير بشكل نقاط عديدة .

(١) فهم القرآن الكريم :

لقد شرع الله تعالى الأحكام التي تنظّم للمسلم مناحي حياته كافة ، وجُمعت هذه الأحكام والمواعظ في القرآن الكريم ، وبيَّن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أهمية التمسّك بكتاب الله ؛ لكونه سبباً في الهداية ، وهذا من أهم أسباب الاهتمام والإقبال على تفسير القرآن الكريم . وتكمن أهميّة تفسير القرآن الكريم بفهم المراد من آياته ، ومعرفة مقاصد الشارع ، فالإعجاز البياني والعلمي للقرآن الكريم لا يمكن معرفته إلاَّ بفهم القرآن ، وفهم مراد الله تعالى في الآيات ، وذلك ليحسن قارئ القرآن الكريم في تدّبر آيات الله تعالى . (العجاج في معرفة الأسباب لابن حجر العسقلاني : ٦ – ٧) .

(٢) معرفة الأحكام الشرعية :

تضمّن القرآن الكريم الكثير من آيات الأحكام ؛ وهي الآيات التي تحمل أحكاماً شرعيَّةً تُوضِّحُ حكم العبادات وكيفيةَ بعضها ، فكان التفسير ضرورةً في فهم الحكم الشرعي لتحرّي ما حرّم الله وما أحلَّ

* المدرس بجامعة العلوم الإسلامية محمد يوسف ، بنوري تاؤن ، كراتشي .

لعباده ، ومعرفة آيات الأحكام التي تُفسّر بعضها ، والتي شرعها القرآن الكريم ولم يبيّن كيفيتها ، فتحتاج إلى بحث وتفسير من مصدر آخر من مصادر التشريع الإسلامي . (المقدمات الأساسية في علوم القرآن : ٣٦٨ . بتصرّف بسيط) .

(٣) تثبيت أصول العقيدة :

إنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع ، فقد تتضمّن أصول العقيدة قاطبةً ، وهي التي بيّنتها السنة النبويّة وعُرفت بأركان الإيمان ؛ وهي الإيمان بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وأهميّة التفسير في ذلك هي إعانة العبد على تثبيت هذه الأصول الإيمانيّة ، وترسيخها في قلب القارئ للقرآن الكريم . ولا شك أنّ الإيمان الذي يُبنى على علم وفهم يكون أثبت وأرسخ ، فالقرآن الكريم مثلاً بيّن أنّ الإيمان يكون بتوحيد الله تعالى وحده وعدم الإشراك به ، وبيّن الله تعالى آيات من قدرته وعظمته في خلقه ، فيأتي دور التفسير في بيان هذا الأصل وأهميته وبيان الدلائل التي أقامها الله تعالى لإثبات هذا الأصل . (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه لأحمد ابن عبد الله الزهراني : ٢١ . بتصرّف) .

(٤) معرفة أحداث السيرة النبوية :

قد كان نزول القرآن الكريم منجّماً ، أي إنّه نزل على دفعاتٍ بحسب الوقائع والأحداث التي حدثت في زمن النبيّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وكثير من أسباب النزول كان سببه الأحداث التي وقعت مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، ولا يمكن معرفة أسباب النزول إلا بتفسير القرآن الذي تضمّن قصصاً من السيرة النبويَّة ، وبالتالي : يعين التفسيرُ على معرفة أحداث السيرة النبويّة ، ومعرفة القصة وفهم المراد منها . (المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره : ٦٩ . بتصرّف) .

(٥) التعرف على أخبار الأمم :

لقد قصّ القرآن الكريم كثيراً من قصص السابقين التي لم يكن للنّاس سبيل إلى معرفتها والقطع بصحتها سِوى في القرآن الكريم ، فبيّن الله تعالى للناس قصص الأنبياء السابقين ودعوتهم لأممهم ، وبيان

حال أقوام وأناس مرّ على قصصهم الوقت الكثير ، وكانت أهمية التفسير في ذلك توضيح هذه القصص وربْط الأحداث ببعضها ، حيث كانت القصة الواحدة ترد في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، فوضع المفسّرون مؤلفات عديدةً عن قصص القرآن الكريم بناءً على فهم هذه الآيات . (كتاب علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر : ٢٤٥ . بتصرّف) .

وقال الإمام الطبري : " فقد كان العلماء من قبله يرحلون إلى بلاد بعيدة من أجل الوقوف على معنى آية وتفسيرها ، كما قال عبد الله بن مسعود : ما من آية في كتاب الله عز وجل إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم نزلَتْ ، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تُرْكَبُ إليه الإبل لركبتُ . (تفسير ابن كثير : ٣/١) .

وقد أشار الإمام القرطبي رحمه الله إلى أهمية علم التفسير فعقد لذلك فصلاً موجَزاً في مقدمة تفسيره " الجامع لأحكام القرآن " فأورد فيه ما يدل على أهمية التفسير ومن ذلك ما يلي :

" ورد عن إياس بن معاوية في فضل التفسير قال : مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قومٍ جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلهم روعةٌ ، ولا يدرون ما في الكتاب ، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب " . (الجامع لأحكام القرآن : ٢٦/١) .

وعلى هذا فإن علم التفسير أشرف العلوم لتعلقه بكتاب الله الذي هو أشرف الكتب على الإطلاق ، وقد جعل بعض أهل العلم : العلم بالتفسير من فروض الكفاية التي لا تبرأ ذمة الأمة إلا بوجود ولو طائفة منها على مر الزمان تتعلمه وتتقن أصوله وتدل الناس عليه .

فليعلم طلاب العلم – خصوصاً – والمسلمون عموماً أن التفسير مهم جداً فهو الطريق إلى العمل بكتاب الله تعالى وتطبيقه كمنهج للحياة .

وإن امتلأت نفس طالب العلم بجلالة علم التفسير وأهميته دفعه ذلك إلى مضاعفة جهده وحثه على مواصلة ليله بنهاره في البحث ، والدرس ، والتنقيب ، وجعل التعب لديه راحةً .

هذا وقد قام علماء الأمة الإسلامية – قديماً وحديثاً – بخدمة

القرآن الكريم شرحاً وبسطاً وما إلى ذلك من النواحي التفسيريَّة المتنوِّعَة ، فألَّفُوا في التفسير مؤلفاتٍ ، ومصنفاتٍ وأبدعوا الكلام ، وأجادوا البحث فأبلَوْا بلاءً حَسَناً فجزاهم الله عنا خيراً ما يجازي به عبادَه المقرَّبين .

ومن ذلك ما نزل بين أيدينا في الأمس القريب في ساحة المكتبات العلمية من سِفْرٍ جليل وتفسير مهم قيم عظيم ، ألا وهو " التفسير اللاهوري " المؤلف باللغة الأردية الرسمية السلسة ، وهو في الحقيقة مجموعة للأمالي التي دوَّنها الشيخ سميع الحق مستفيداً من دروس الشيخ العلامة أحمد علي اللاهوري – رحمه الله رحمةً واسعةً – خلال تدريسه لتفسير القرآن الكريم ، وذلك أنه لما تخرج الشيخ سميع الحق – جامع هذه الأمالي – في دورة الحديث في عام ١٩٥٩م من تحصيل العلوم الدينيَّة ، ونال شهادة العالميَّة ، ونِيطَت به العمامة في حرم الجامعة الحقانيَّة الحبيبة ، فأمره والده العزيز الشيخ المحدث العلامة عبد الحق – رحمه الله رحمةً واسعةً – ليتلقَّى تفسير القرآن الكريم من الإمام الكبير شيخ التفسير الشيخ أحمد علي اللاهوري – رحمه الله – مدير مدرسة خدام الدين بـ " لاهور " ، فشدَّ رحاله وسافر إليه ، وأخذ تفسير القرآن ببالغ الاهتمام وكامل العناية ، وكان من عادته خلال دورة التفسير أنه كان يكتب جميع دروس الشيخ اللاهوري في كراسته ، ولا يفوته أدنى شيئ ممَّا تفوهت به شفتا الشيخ أحمد علي اللاهوري وكلما التفت إليه أثناء التدريس يراه دائماً مُكِبّاً على الكتابة وتدوين الدروس فيقول له متلاطفاً : " ما لهذا الكتابِ لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أَحصَاها " ، ونال الشيخ سميع الحق شهادة الفضل والتفوُّق في التفسير .

وأما الداعي إلى إنجاز هذه المهمَّة فهو أنَّ صاحب هذا التفسير الشيخ اللاهوري قد حاز منزلةً رفيعةً ومكانةً شاسعةً بين المفسرين المعاصرين ، هذا بالإضافة إلى أنَّه كان من المرشدين والموجِّهين في باب الإحسان والتصوف عالميّاً ، وعرف بـ " شيخ التفسير " في أنحاء البلد . . . . وخاصةً قد منحه الله عز وجل قدرةً نادرةً وموهبةً بارزةً في فهم القرآن وتطبيق آياته على أرض الواقع ، فكانت الحاجة ملحةً إلى تدوين فوائده التفسيريَّة بشكل ثابت وكتاب برأسه لتعم الفكرة القرآنيَّة التي حملها

الشيخ اللاهوري في قلبه ، ولكي يستشعر الناس الرسائل الإلهيَّة المذكورة في كتاب الله عز وجل في أماكن مختلفة ، وأيضاً لكي يقفوا على أساليب بيان القرآن الجديدة التي قلما يوجد لها مثال في غيره من التفاسير المعاصرة المؤلفة باللغة المحليَّة القوميَّة في هذه الديار الهنديَّة ، هذا وقد رزقه الله تعالى خبرةً كافيةً في العلوم المنقولة والمعقولة حتى عُرِفَت دروسُه وحلقتُه في قارة آسيا الجنوبيَّة ، وعُدَّت مدرستُه من أكبر مراكز القرآن .

فنظراً إلى ذلك كله افتقر الأمر إلى من يقوم بجمع تفسيراته للقرآن الكريم من تلاميذه الكثيرين فقدَّرَ الله أن تكون هذه الحظوة في صحيفة أعمال الشيخ سميع الحق وهو من تلاميذه الأجلاء في العهد الراهن ، فعزم وحزم أن يجمع تلك الأمالي التفسيريَّة في حُلَّةِ كتاب جامع تفسير للقرآن الكريم .

فشمَّر عن ساعد الجد والاجتهاد للقيام بهذه المهمَّة المباركة فأخذ يجمع ويرتِّب كل ما كتب في ذلك الحين البعيد ، وقضى أربع سنوات من حياته الأخيرة السعيدة في تأليف هذا التفسير الجليل ، ولطالما تمنَّى من الله تعالى أن يحقق أمنيته ويتمِّمَ له هذا الأمر العظيم في حياته الرهينة ، وكان قبل استشهاده قد بلغ إلى تحرير تفسير سورة النجم ، وأوشك أن يكمله إلا أنَّه سبقه القدر المحتوم فلم تحالفه الحياة ووافاه الأجل المسمى قبل إتمامه – رحمه الله ورفع درجاته في أعلى الجنة وأحسنها – ، ثم قام بتكملة ما فاته أنجاله الأفذاذ وأحفاده الأجلاء فأكملوه على نمط الأب الفقيد والجد العزيز ، وها هو بين أيدي القراء اليوم بحلة قشيبة رائعة ، فأدعو المولى سائلاً أن يدر على مرقده شآبيب الرحمة والغفران .

وكان عليَّ (كاتب هذه السطور) أن أتحدث أوَّلاً عن حياة الشيخ أحمد علي اللاهوري شيئاً هنا لكنَّني بيَّنتُها في مقالتي عن مشايخ الشيخ سميع الحق – رحمه الله – في بحث مستفيض لي عن ترجمة الشيخ سميع الحق – رحمه الله – فلا أعيدها هنا مخافة تكرار يتبعه الإملال .

ولا شك أنَّ جمع هذه الأمالي التفسيريَّة القيِّمة سعادةٌ لا تُدَانِيْهَا سَعَادَةٌ ، وشرفٌ ما بعده شرفٌ ، فأردتُ أن أبيِّن لها بعض المميِّزات ، وأحببتُ أن أوضح كيف أبرز هذا التلميذ الرشيد معارف شيخه أحسن

إبراز وعبَّر عن علومه الشريفة خير تعبير فإليكم ببيان بعض مزايا تفسيره بشكل النقاط فيما يلي :

أوَّلاً : بيَّن ترجمة جميع آيات ركوع واحد على غرار أن تكون الترجمة النصيَّة للشيخ أحمد علي اللاهوري دون من سواه من المفسرين المعاصرين أو المتقدمين .

ثانياً : تلخيص تفسير الآيات الواردة في الركوع وفق أسلوب شيخه العلامة اللاهوري بصفة إجماليَّة ، وإذا لم يؤثَر عنه تفسيرٌ في آية فنقل تفسيرها من كُتُبه الأخرى ، وعزاها إلى المرجع الأصيل .

ثالثاً : شرح جميع الآيات القرآنيَّة آيةً آيةً شرحاً وافياً ببيان المعنى مع وضع عناوين جامعة شاملة لكل آية حتى تتضِّح به معاني الآيات كلَّ الوضوح .

رابعاً : قد تَتَضَمَّنُ الآياتُ مباحثَ علميَّةً دقيقةً مفصَّلةً تتطلَّب عنواناً مستقلاً فيعقد لها الشيخ سميع الحق – رحمه الله – عنواناً بديعاً يفي بالغرض ويوضح المراد .

خامساً : ذكر أمالي الشيخ اللاهوري بقضِّها وقضيضها بكل أمانة دون التصرف فيها كالتنقيح والتعديل حذفاً وإضافةً ، ثم راعى في ذلك كله سلامة اللغة والكلام ليزيد في المعنى قوةً ووقعاً .

سادساً : والذي يُبنَى عليه كلام العلامة اللاهوري هو كلام الإمام ولي الله الدهلوي – رحمه الله – وهو المرجع الأول الأصيل لعلومه الفياضة في بيان تفسيره ، ولذا عزا الشيخ اللاهوري كلامه إلى كتب الإمام ولي الله وخاصة إلى كتابه القيم " حجة الله البالغة " ، واتَّبعه الشيخ سميع الحق أثناء تأليف التفسير ، فنقل عبارة الإمام بتمامها من أصل الكتاب في هامشه بأسلوب سلس سهل جميل .

سابعاً : وكان من المراجع الرئيسية لهذا التفسير هو الفوائد العثمانيَّة المعروفة بـ " التفسير العثماني " في شبه القارَّة الهنديَّة لشيخ الإسلام العلامة شبير أحمد العثماني فهو المرجع المهم بعد كتب الشاه ولي الله ، فإنَّ الشيخ سميع الحق إذا لم يجد حلاً لغوامض بعض الآيات ورفع إبهامها في المرجع الأول – من أمالي الشيخ أحمد علي اللاهوري

وكتبه الأخرى – فاستعان بالفوائد العثمانيَّة ، ونقل توضيحها للآيات في هوامش المجموعة التفسيريَّة فزاد نفعها بتحرير هذه الفوائد الشريفة ما كشفت الأستار عن خرائد أغراض كتاب الله الحكيم ، وعسى أن لا يوجد لبعضها نظير في هذه المادة الوافرة من كتب التفاسير ، فما ظنك بكلها . واعتمد عليها في بيان التفسير بعد كلام الشيخ اللاهوري ؛ لأنَّ أوراق الأمالي رثَّت وتمزَّقت إذ طال عليها الأمد فتعذَّرَ فهمُ ما كتب فيها من الألفاظ والعبارات ؛ حيث كتبها في كراساته حين حضر دروسٍ التفسير للشيخ اللاهوري في عقد الخمسينيات قبل أكثر من خمسين سنة على ما قدَّمنا الذكر .

ثامناً : تفسيرات الإمام اللاهوري وعلومه بمنزلة الموسوعة الشاملة في باب تفسير القرآن ؛ فإنَّه بيَّن بعض الفوائد التفسيريَّة في كتبه ومجالسه وخطبه ، فاستطاع الشيخ سميع الحق البحث عنها أينما وجدها في كتب شيخه الإمام اللاهوري علماً بأنَّها مكتوبة بقلمه السيال ، وكتبها في مجموعة الأمالي التفسيريَّة بأسلوب بديع واضح .

تاسعاً : لقد أجهد المؤلف الجامع نفسه وبذل جهده في تنسيق هذه المجموعة فأجاد وأبدع في تدوين تفسير القرآن ، إذ كان يشتغل في تصحيحها وتنقيحها ووضع العناوين عليها في ساعات الليل والنهار ، وقد جمع فيه فأوعى ، وتكلم بأحسن كلام وأنفسه ، وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها في العصر الراهن حتى أصبح كالسهل الممتنع ، وكل ما جاء به في هذه المجموعة ما هي إلا أمور واقعيَّة حقيقيَّة حتى لا يكاد ينقدها أحد أو يجد الناقد فيها موضع الريب فيسارع إليه ، وبالذات فإنَّها تنفع العلماء وطلاب العلم وعامة الناس على حد سواء .

عاشراً : قد قام الشيخ سميع الحق بتخريج جميع الأحاديث والأخبار والآثار الواردة خلال تفسير القرآن الكريم من أمهات كتب الأحاديث الشريفة على ما هو الأحسن والأتم ، وتلك عشرة كاملة [1] . هذه نبذة ما ذكرته عن هذا التفسير العظيم ، وأسأله جل جلاله أن يعمم نفعه للعلماء والدهماء في الأوساط الطلابية ومعاشر العلم ، فإنه ولي التوفيق وهو المستعان وما علينا إلا البلاغ .

[1] حیات جاودانی کے حامل شخصیت، منقول من الأردية : ٣٧٢ .

شبهة أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل في الشهر الحرام

الأخ محمد دانش أنور *

نحمده ونصلي على رسوله الكريم ، أما بعد :

فنحن في زمنٍ تكالبت الأمم على الأمة الإسلامية فوقعت في المحن والاختبارات ، مرةً بالهجوم على مقدساتها من الجوامع والمساجد ، فأخرى بانتهاك حرمة القرآن العظيم ، فثالثةً بالتطاول على أفضل البشر سيد خلق الله في الكون النبي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بأبشع الألفاظ من السب والشتم ، والكذب الواضح على النبي صلى الله عليه وسلم ودينها العظيم .

قد ذكرت في هذه المقالة شبهة من الشبهات التي أثيرت في الآونة الأخيرة حول سيرة سيدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، بأنه لم يحترم قانون الحرب ، وقاتل هو وأصحابُه المشركين في الشهر الحرام ، وهذا انتهاك لحرمة الأشهر الحرم .

من خلال هذه الأسطر حاولت أن أجيب عن هذه الشبهة بالدلائل من القرآن والسنة .

هذه الشبهة التي أثيرت حول قتال النبي صلى الله عليه وسلم للكفار في الشهر الحرام ، كقتاله في ذي القعدة في غزوة (الطائف) ، فيجاب عنه :

بأن ذلك القتال كان من باب قتال الدفاع ، لا قتالِ الطلب ، وكان ابتداء القتال في شهر حلال ، وقتال الدفع جائز حتى في الشهر الحرام ؛ لقوله تعالى : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [البقرة : ١٩٤] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق ابن عيسى ، حدثنا ليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا

* الباحث في الدكتوراة ، قسم اللغة العربية ، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية ، فرع لكناؤ ، أترابراديش ، الهند .

أن يُغْزى ويُغْزَوا ، فإذا حضره أقام حتى ينسلخ [1] . ولهذا لما بلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو مُخَيِّم بالحديبية أن عثمان رضي الله عنه قد قتل ، – وكان قد بعثه في رسالة إلى المشركين – بايع أصحابه ، – وكانوا ألفاً وأربع مأة – تحتَ الشجرة على قتال المشركين ، فلما بلغه أن عثمان رضي الله عنه لم يُقتَل كف عن ذلك ، وجنح إلى المسالمة والمصالحة .

وكذلك لما فرغ من قتال هوازن يوم حنين وتَحَصَّن فلُّهم بالطائف ، عَدَل إليها ، فحاصرها ودخل ذو القعْدة وهو محاصرها بالمنجنيق ، واستمر عليها إلى كمال أربعين يوماً ، كما ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه ، فلما كثر القتل في أصحابه انصرف عنها ولم تُفْتَح [2] .

وقال الإمام ابن كثير : الجواب عن حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف ، واستصحابه الحصار إلى أن دخل الشهر الحرام ، فإنه من تتمة قتال هوازن وأحلافها من ثقيف ، فإنهم هم الذين ابتدأوا القتال ، وجمعوا الرجال ، ودعوا إلى الحرب والنِّزال ، فعندما قصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، فلما تحصنوا بالطائف ذهب إليهم لينزلهم من حصونهم ، فنالوا من المسلمين ، وقتلوا جماعة ، واستمر الحصار بالمجانيق وغيرها قريباً من أربعين يوماً ، وكان ابتداؤه في شهر حلال ، ودخل الشهر الحرام ، فاستمر فيه أياماً ، ثم قفل عنهم لأنه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء ، وهذا هو أمر مقرر ، وله نظائر كثيرة ، والله أعلم [3] .

كذلك أجيب أننا لو سلمنا أن قوله تعالى : (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) ، وحصار الرسول صلى الله عليه وسلَم للطائفَ يدل على جواز ابتداء الكفار بالقتال ؛ فإننا لا نسلم قط بنسخ حرمة الأشهر الحرم في حق المسلمين ؛ لأن الله عز وجل يقول في نفس الآية : (فَلا تَظْلِمُوْا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُم) أي : فلا تقعوا في ظلم أنفسكم بفعل المعاصي وانتهاكَ الحرمات .

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل : برقم ١٤٧١٣ ، بتحقيق : الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .

[2] انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٥٢٧/١ ، بتحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة .

[3] انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١٠٥/٤ ، آية (٣٦) من سورة التوبة ، بتحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة .

وعن عروة بن الزبير ، حيث يقول : بعث رسولِ اللّه صلى اللّه عليه وسلم عبد اللّه بن جحش رضي اللّه عنه في رجب مَقْفلَه من بدر الأولى ، وبعثَ معه بثمانية رَهْط من المهاجرين ، فيهم عكاشة بن محصن ، وعتبة ابن غزوان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعامر بن ربيعة ، وواقد بن عبد اللّه ، وخالد بن البكير ، وسهيل بن بيضاء ، وليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتاباً ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضي لما أمره ، ولا يستكره من أصحابه أحداً .

فلما سار عبدُ اللّه بن جحش يومين فتح الكتاب ونظر فيه ، فإذا فيه : " إذا نظرت إلى كتابي هذا ، فسِرْ حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، فترصَّد بها قريشاً ، وتعلَّمْ لنا من أخبارهم " . فلما نظر عبد اللّه بن جحش في الكتاب قال : " سمعاً وطاعة " ، ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة فأرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابه ، ما عداً سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ؛ لأنهما أضلا بعيراً لهما كانا عليه يعتقبانه ، فتخلَّفا عليه في طلبه ، ومضى عبد اللّه بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عيرٌ لقريش تحمل زبيباً وأدَماً وتجارة من تجارة قريش ، منهم عمرو بن الحضرمي ، وعثمان بن عبد اللّه بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد اللّه بن المغيرة المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رآهم القوم هابوهم ، وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن ، وقد كان حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا وقالوا : عُمّار ! فلا بأس علينا منهم ، وتشاور القوم فيهم ، وذلك في آخر يوم من جمادى ، فقال القوم : واللّه لئن تركتم القومَ هذه الليلة ليدخُلُنَّ الحرم فليمتنعُنَّ به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام ! فتردّد القوم فهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجُعوا عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذو ما معهم ، فرمى واقدُ بن عبد اللّه التميمي عمرَو بن الحضرميّ بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد اللّه ، والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد اللّه فأعجزهم ، وقدم عبد اللّه بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

بالمدينة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام " ، فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، سُقط في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنَّفهم المسلمون فيما صنعوا ، وقالوا لهم : صنعتم ما لم تؤمروا به وقاتلتم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال ، وقالت قريش : قد استحلّ محمد وأصحابه الشهر الحرام ، فسفكوا فيه الدمَ ، وأخذوا فيه الأموال وأسروافيه الرجال ، فلما أكثر الناسُ في ذلك أنزل الله عز وجل على رسوله : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيْه) ، أي : عن قتال فيه ، (قُلْ قِتَالٌ فِيْه كَبِيْرٌ) إلى قوله : (وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) ، أي إن كنتم قَتلتم في الشهر الحرام ، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجُكم عنه إذ أنتم أهله وولاته ، أكبرُ عند الله من قتل من قتلتم منهم ، وقد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ، وذلك أكبر عند الله من القتل ، هكذا فرَّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق والضيق بسبب أقوال المشركين واليهود في حادثة قتل عمرو بن الحضرمي [1] .

نزلت الآية الكريمة تسليةً لقلوب المؤمنين ، وإرغاماً لأنوف الكفار ، فقال الإمام الطبري أيضاً في تفسيره : أنه لا خلاف بين أهل التأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب قتل ابن الحضرمي وقاتله [2] .

قال ابن هشام : وهي أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعمرو بن الحضرمي أول من قتله المسلمون ، وعثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان أول من أسرهما المسلمون [3] .

أجمل قصيدة مرتجلة :

وما أجمل ما قيل من القصيدة في هذا ! أيًّا كان قائلها ، فقال ابن إسحاق : قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال ابن هشام : هي لعبد الله بن جحش [4] :

---

[1] انظر : جامع البيان في تأويل القرآن للطبري : ٣٠٢/٤ ، بتحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة .

[2] المصدر السابق .

[3] السيرة النبوية لابن هشام : ١٥١/٣ ، بتحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل .

[4] المصدر السابق .

تَعُدُّونَ قَـتْلًا فـي الحرام عـظيـمةً ... وأعظمُ منه لو يـرى الرُّشدَ راشدُ
صُـدودكـم عما يقول مـحـمـدٌ ... وكُـفـرٌ بـه واللّه راءٍ وشـاهـدُ
وإخراجُكم من مسجد اللّه أهلَه ... لئلا يـرى للّه فـي البيت سـاجـدُ
فإنا وإن عَـيَّـرتُـمُونا بقـتـلـه ... وأرجـف بـالإسلام بـاغٍ وحاسـدُ
سَقَينا من ابن الحـضرميِّ رماحَنا ... بنخلةَ لَمَّا أوقـد الحـربَ واقِـدُ
دَمًـا وابنُ عبـداللّه عثمانُ بـيـنـنـا ... يـنـازعـه غُـلٌّ من الـقِّـد عـانِـدُ

خلاصة الكلام :

إن حياة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وسيرته هي المثل الأعلى الذي يحتذيه كل مسلم ، بل هناك جوانب كثيرة تأسى بها أعداؤه أيضاً ، وهي على تقادم العهد بها جديدة في كل عصر ، توحي لكل فئة من فئات الأمة بما يبعثها نحوَ الخير ، ويدفع بها إلى ميادين الخلود ، ويزيد من إمعان النظر ، حيث كان يضع أصولها ، ويوجه دفتها بما ينزل عليه من الوحي ، فالقائد الحكيم في أي معركة من المعارك الحربية ، هو الذي يفرض زمان المعركة ومكانها على أعدائه ، وليس هو الذي يورِّط أفراد جيشه في معارك فاشلة ، دون أن يخطِّط لهاالتخطيط السليم ؛ ولذا فإن المعارك الحربية قبل أن تدور في مَيدان القتال ، تدور أولاً فوق المكاتب وطاولة الاجتماعات بين القادة العسكريين ؛ لرسم الخطط والاستراتيجيات والبدائل ، ثم تُعَدُّ بعد ذلك العدة لتنفيذها بدقة وإتقان ، فهل يعقل أن الذي بعث رحمة للعالمين ، وقد شهد لرحمته أعداؤه ؛ أن يخالف قانون الحرب ، وخاصة القانون الذي يحترم الدماء التي تعتبر ضد الرحمة ؟

مصادر ومراجع :

١. القرآن الكريم .
٢. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة .
٣. جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة .
٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : الشيخ شعيب الأناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
٥. السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل .

النظام الطبقي في المجتمع الهندي

الأستاذ أحمد نور العيني *

إن قضيةِ المجتمع الهندي الأساسية هي تقسيم المجتمع البشري إلى الطبقات تقسيماً عمودياً . يقسم المجتمع الهندى أولا إلى قسمين أساسيين ، وهما : " سَوَرْن " و " أَوَرْن " [١] ، أما قسم " سورن " فيطلق على الطبقات التي تسكن وتعيش داخل القرية ، وهذا القسم يشمل أربع طبقات : " بَرهمن " ، و " شَتْرِي " ، و " وَيْشْ " ، و " شُودْرَا " [٢] (والطبقة الأخيرة اسمها القانوني أو ، بي ، سي [٣]) ، والطبقات الثلاث الأولى يقال لها " دُوِيْجَه " [٤] . وأما " أورن " فيطلق على الطبقات التي تسكن وتعيش خارج القريةِ في ضواحيها أو في الجبال والغابات ، وهذا القسم يقال له " أَتِي شُودْرَا " أيضاً ، وهو يشمل طبقتين : " أَنْتَجَه " [٥] (وهي الطبقة المنبوذة التي يقال لها " دلِت " ، واسمها القانوني " إيس ، سي " [٦]) ، والقبائل (وهذه الطبقة يقال لها : " آدِيْ وَاسِيْ " ، واسمها القانوني " إيس ، تي " [٧]) . فالمجتمع الهندي يحتوي

* أستاذ المعهد العالي الإسلامي ، حيدرآباد (الهند) .

١ انظر د . أمبيدكر ، مجموعة بحوث ودراسات (Babasaheb Ambedkar: Writings and Speeches) ، ج ٥ ، ص ١١٢ .

٢ ولكن اليوم تطلق كلمة سورن على " البرهمن " ، و " الكشتري " و " الويش " بصفة خاصة ، ولا تطلق على " الشودرا " على وجه العموم .

٣ أو ، بي ، سي مخفف من Other Backward Classes (الطبقات الأخرى المتخلفة) .

٤ دويجه معناها : الذي ولد مرتين ، وهذه الطبقات الثلاث تسمى بدويجه ؛ لأن كل من ينتمي إليها يولد – حسب المعتقدات البرهمية – مرتين : عندما تضعه أمه ، وعندما يشرع في طلب العلم ، وهذه الطبقات الثلاث المسماة بدويجه لها حق لطلب العلم ، وكل من ليس بدويجه لا حق له أن يطلب العلم .

٥ أنتجه لغة : الذي ولد أخيراً ، واصطلاحاً : الذي يولد ويعيش في نهاية القرية وضواحيها . (انظر : د . أمبيدكر ، The Untouchable . هذا الكتاب مطبوع في مجموعة بحوث ودراسات للدكتور أمبيدكر ، ج ٧ ، ص ٢٧٩) .

٦ إيس ، سي مخفف من Scheduled Castes ، أي الوحدات الاجتماعية المسجلة في الجدول ، ولها اسم آخر " هريجن " ، ولكنه غير مرضي لدى مثقفيها ونشطائها الاجتماعيين .

٧ إيس ، تي مخفف من Scheduled Tribes ، أي القبائل المسجلة في الجدول .

على طبقة " برهمن " ، ثم طبقة " شتري " ، ثم طبقة " ويش " ، ثم طبقة " شودرا " ، ثم " أنتجه " ، ثم " القبائل " . ونظام الطبقات الأولى الأربع يقال له " شاتُرْوَرْنَيَه " (نظام الطبقات الأربع) .

وقد ظهر النظام الطبقي هذا في الوجود بعد مهاجمة القوم الآري الهند قبل حوالي أربعة آلاف سنة . فالقوم الآريون المهاجمون المحتلون ينقسمون إلى " برهمن " و " شتري " و " ويش " . أما الطبقات الباقية من شودرا وأتي شودرا فهم السكان الأصليون (مُوْلْ نِوَاسِيْ باللغة الهندوسية) . ويزعم بعض الباحثين أن هناك عدة فئات تعد في طبقة " شتري " إلا أنها في الحقيقة من طبقة " شودرا " ، أي من طبقة السكان الأصليين لا من طبقة المحتلين . ومما يثير العجب أن الطبقة التي لها سيطرة على المجتمع الهندي وسلطة على وضع الخطط السياسية والحكومية والاقتصادية تمثل نحو ٥,٣% من سكان الهند ، والطبقات التي لها مكانة سفلى ودنيا ، وهي محكومة مظلومة في المجتمع الهندي تمثل نحو ٩٠ % من سكان الهند .

ومن الجدير بالذكر أن تقسيم الطبقات هذا تقسيم عمودي ، أي بعضها أفضل من بعض وبعضها أسفل من بعض ، فبرهمن أفضل الطبقات وأعلاها وأشرفها وأكرمها ، وشودرا وأنتجه والقبائل لهم مكانة سفلى ودنيا ، وهم أرذل الناس ، وهذه الثلاث ليست سواءً ، فبعضها أسفل من بعض . أما القبائل فاضطروا إلى مغادرة مستوطناتهم وقراهم واللجوء إلى الجبال والغابات والسكنى فيها ، وأما أنتجه أي الطبقة المنبوذة التي تدعى دلِت فأصبحوا مضطرين إلى السكنى خارج القرية وفي ضواحيها ، وهم نجس العين في الشريعة البرهمية ، يتنجس الإنسان بمسهم ؛ بل تتنجس الأشياء بمسهم ، فهذه الطبقة محرم لمسها ، ولذا يقال لكل من ينتمي إليها Untouchable بالإنكليزية و " أَشُوْتْ " بالهندوسية ، أي لا يجوز لمسه . وأما شودرا فهم سكنوا داخل القرية والمستوطن أذلة مظلومين مضطهدين ، فهم أخس طبقات المجتمع الساكنة داخل المستوطن والقرية وأرذلها ، لا حرية لهم في كسب المال ، وطلب العلم ، وقيادة الشعب ، والقيام بأي مسؤولية من مسؤوليات الحكومة وغيرها ، ولا حقٍ لهم من الحقوق الإنسانية .

وهناك تقسيم فرعي أيضاً ، فكل طبقة من هذه الطبقات الاجتماعية تحتوي على كثير من الوحدات التي يقال لكل وحدة منها " جاتي " بالهندوسية و " ذات " بالأردية و " Caste " بالإنكليزية . ومجموع هذه الوحدات يتجاوز ستة آلاف وحدة اجتماعية . وهناك تقسيم ثالث آخر ،

فكل " ذات " يحتوي على وحدات كثيرة يقال لكل وحدة منها " جن جاتي " بالهندوسية ، و " ذيلي ذات " بالأردية ، و " Sub Caste " بالإنكليزية ، ومجموع هذه الوحدات الفرعية يتجاوز خمسين ألف وحدة اجتماعية ، ولا علاقة بين هذه الوحدات إلا علاقة حقد وحسد وبغض وكراهية ، وكل وحدة من هذه الوحدات أفضل من بعضها وأسفل من بعضها ، فلا مساواة ولا مواساة . ولكل وحدة من هذه الوحدات عالم خيالي خاص يعيش فيه أعضاؤها ولا يريدون أن يخرجوا منه ، بل يفرحون أن يعيشوا فيه ويفتخروا به إلا قليلا منهم ، فلا يتفكر أي فرد من أي وحدة (ذات) إلا في أفراد وحدته ، ولا يهم أي وحدة إلا ما يتعلق بصالحها فحسب . يقول الدكتور أمبيدكر (مدون دستور الهند والذي كان ينتمي إلى الطبقة المنبوذة) :

" Hindu society as such does not exist. It is only a collection of castes. Each caste is conscious of its existence. Its survival is the be all and end all of its existence. Castes do not even form a federation".[1]

(لا وجود للمجتمع الهندوسي بهذا المعنى (بمعنى القوم) ، فإن هذا المجتمع مجموعة " ذات " (الوحدات الطبقية) فحسب ، كل " ذات " يشعر بوجوده فقط ، وكل " ذات " لا يتفكر إلا في بقائه فحسب ، ولا وفاق لهذه الوحدات) .

وهذا التقسيم الطبقي له قدسية دينية ؛ لأنه مؤسس على كتبهم المقدسة ، فإنه مستنبط من كتابهم المقدس " رك ويدا " . ففيه :

ब्राह्मणोऽस्यमुखमासीद्बाहूराजन्यः कृतः।
ऊरू तदस्य यद्वैश्यः पद्भ्यां शूद्रो अजायत॥[2]

(خلق الإله طبقة " بَرَهْمَنْ " من فمه ، و " شَتْرِيْ " من عضده ، و " وَيْشْ " من فخذه ، و " شُوْدْرَا " من رجله)[3] .

---

[1] Dr. B. R Ambedkar: Annihilation of Caste. Published with Dr. Babasaheb Ambedkar: Writings and Speeches. Pub: Dr. Ambedkar Foundation, Ministry of Social Justice& Empowerment, Govt. of India V:1. P: 50.

[2] ركويدا : باب ١٠ ، فصل ٩٠ : منتر (الآية) ١٢ .

[3] انظر لترجمة المنتر (آية الويد) ، د . محمد ضياء الرحمن الأعظمي (الأستاذ بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة سابقاً) ، فصول في أديان الهند ، ط المدينة المنورة ، دار البخاري للنشر والتوزيع ، ص ٥٦ . وراجع للمنتر السنسكريتي والترجمة

ويقول إله من آلهتهم في كتابهم المقدس " بهكوت كيتا " :
"चातुर्वर्ण्यं मया सृष्टं"[1]

(إن نظام الطبقات الأربع وضعته أنا)

ومن خصائص النظام الطبقي أن لكل طبقة أعمالاً مخصوصةً ووظائف معهودةً ، فوزعت الأعمال المخصوصة لكل طبقة من هذه الطبقات ، جاء في كتابهم المقدس المسمى بـ " منوسمرتي " (وهو من كتب الأحكام لهم) :

"अध्यापनं अध्ययनं यजनं याजनं तथा ।दानं प्रतिग्रहं चैव ब्राह्मणानां अकल्पयत् । प्रजानां रक्षणं दानं इज्याध्ययनं एव च ।विषयेष्वप्रसक्तिश्च क्षत्रियस्य समासतः ।□पशूनां रक्षणं दानं इज्याध्ययनं एव च ।वणिक्पथं कुसीदं च वैश्यस्य कृषिं एव च ।एकं एव तु शूद्रस्य प्रभुः कर्म समादिशत् ।एतेषां एव वर्णानां शुश्रूषां अनसूयया ।"[2]

(وقد عهد إلى " برهمن " بقراءة الويد ، وتعليمه ، والقيام بأعمال عبادة يكيه (الأضحية) لأنفسهم ولغيرهم ، وخصهم بإعطاء الصدقات (برهمنَ فحسب) وبقبولها (من جميع الطبقات) . وفرض على " شتري " خمسة أمور ، وهي : المحافظة على الرعية ، وإعطاء الصدقات (برهمنَ فحسب) ، والقيام بعبادة يكيه (بواسطة برهمن) ، وقراءة الويد ، وعدم الميل إلى نعيم الدنيا . وفرض على " ويش " سبعة أمور ، وهي حفظ الحيوانات ، ورعيها ، وإعطاء الصدقات (برهمنَ فحسب) ، والقيام بعبادة يكيه (بواسطة برهمن لا غير) ، وقراءة الويد ، والتجارة ، والتعامل بالربا ، والاشتغال بالزراعة . وفرض الإله الأعظم على " شودرا " أمراً واحداً ، وهو أن يقوم بإخلاص تام بخدمة هذه الطبقات الثلاث) [3] .

الإنكليزية : H.H Wilson: Rig Veda Samhita (English Translation). Pub: 2022, Parimal Publication Pvt Ltd. ، والكتاب موجود الشبكة الدولية . عنوان الموقع : wisdomlib.org. ورابط الموقع : Rig Veda 10.90.12 [English translation] (wisdomlib.org)

[1] بهكوت كيتا ، باب ٤ ، أشلوك ١٣ .

[2] منوسمرتي ، باب ١ ، أشلوك (آية) ٨٨ – ٩١ .

[3] وانظر لترجمة الأشلوكات إلى العربية : إحسان حقي ، منوسمرتي كتاب الهندوس المقدس (الترجمة العربية) . ط الأولى ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة

إن برهمن أفضل الجميع ، جاء في منوسمرتي :

"ऊर्ध्वं नाभेर्मेध्यतरः पुरुषः परिकीर्तितः ।तस्मान्मेध्यतमं त्वस्य मुखं उक्तं स्वयंभुवा ।।१/९२भूतानां प्राणिनः श्रेष्ठाः प्राणिनां बुद्धिजीविनः ।बुद्धिमत्सु नराः श्रेष्ठा नरेषु ब्राह्मणाः स्मृताः।।१/९६" .[1]

(بما أن برهمن خلق من أشرف عضو وأطهره ، وهو الوجه ، وهو القائم على الويد ، وهو أصحاب الدين ، فهو أفضل الجميع . إن الأفضل هو برهمن ، ودونه الإنسان ، ودونه الدواب ، ودونها الحشرات ، ودون ذلك الجماد والنبات) [2] .

وإن برهمن ليس هو أفضل الخلق فحسب ، فإنما هو إله الآلهة ، جاء في منوسمرتي :

"ब्रह्मणः संभवेनैव देवानां अपि दैवतम्"[3]

إن برهمن من حيث أصله إله الآلهة [4] .

هذا غيض من فيض من الأحكام والفضائل بالنسبة لطبقة " برهمن " التي هي أفضل الطبقات وأعلاها وإله الآلهة ، أما الأحكام والرذائل بالنسبة لطبقة " شودرا " التي هي أخس الطبقات وأرذلها فهي كثيرة ، منها :

"शुचिरुत्कृष्टशुश्रूषुर्मृदुवागनहंकृतः ।ब्राह्मणाद्याश्रयो नित्यं उत्कृष्टां जातिं अश्नुते । एषोऽनापदि वर्णानां उक्तः कर्मविधिः शुभः ।आपद्यपि हि यस्तेषां क्रमशस्तन्निबोधत ।[5]"

والنشر، ص ٣٥ . وانظر لترجمتها إلى الأردية : كربا رام شرما جكرانوي : منوسمرتي (الترجمة الأردية) ، ط الأولى ، دلهي ، ويدك دهرم بريس ، ص ١٦ . وانظر لترجمتها إلى الإنكليزية : G. Bhuler: The Laws of Manu: Pub: 1886, Clarendon Press Oxford. P: 24

[1] منوسمرتي ، باب ١ ، أشلوك (آية) ٩٢ و ٩٦ .

[2] انظر للترجمة العربية : المرجع المذكور أعلاه ، ص ٣٦ و ٣٨ ، وانظر للترجمة الأردية : المرجع المذكور أعلاه ، ص ١٧ و ١٨ ، وانظر للترجمة الإنكليزية : المرجع المذكور أعلاه ، ص ٢٥ .

[3] منوسمرتي ، باب ١١ ، أشلوك (آية) ٨٤ .

[4] انظر للترجمة العربية : المرجع المذكور أعلاه ، ص ٦٣٥ ، وانظر للترجمة الأردية : المرجع المذكور أعلاه ، ص ٤٤٣ ، وانظر للترجمة الإنكليزية : المرجع المذكور أعلاه ، ص ٤٤٧ .

[5] منوسمرتي : باب ٩ ، أشلوك (آية) ٣٣٥ و ٣٣٦ .

(إن أعظم عمل يقود شودرا إلى الخير والفلاح هو أن يخدم برهمن . إن شودرا الذي يقوم بخدمته بكل أمانة وإخلاص ، ويتحلى بعذوبة البيان ويبتعد عن الغرور ويلتجئ باستمرار إلى برهمن ينال في العالم الثاني طبقة أرفع من طبقته) [1] .

ومنها :

"एकजातिर्द्विजातींस्तु वाचा दारुणया क्षिपन् ।जिह्वायाः प्राप्नुयाच्छेदं जघन्यप्रभवो हि सः। नामजातिग्रहं त्वेषां अभिद्रोहेण कुर्वतः। निक्षेप्योऽयोमयः शङ्कुर्ज्वलन्नास्ये दशाङ्गुलः। धर्मोपदेशं दर्पेण विप्राणां अस्य कुर्वतः ।तप्तं आसेचयेत्तैलं वक्त्रे श्रोत्रे च पार्थिवः ।"[2]

(إذا أهان شودر أياً من برهمن أو شتري أو ويش يعاقب بقطع لسانه . وإذا نادى شودر أياً من برهمن أو شتري أو ويش باسمه وطبقته يعاقب بأن يوضع في فمه سفود من حديد ، محمي بالنار طوله عشرة أصابع . وإذا علم شودر أحداً من برهمن واجباته الدينية بغرور فعلى الملك أن يأمر بصب الزيت المغلي في فمه وفي أذنيه) [3] .

وفي رام شرت مانس (كتاب في قصة رام) :

"पूजिअ बिप्र सील गुन हीना। सूद्र न गुन गन ग्यान प्रबीना॥"[4]

(إن برهمن يجدر بأن يُكرم ولو لم يكن فيه خير ، وشودرا لا يجدر بأن يُكرم ولو كان عالماً بالويد ، أي الكتاب المقدس) .

هذا هو النظام الطبقي القاسي المؤسس على الظلم والجور والاستغلال والعدوان ، والذي فيه تعد طبقة أفضل الآلهة ، ويتعامل مع طبقة تعامل الإنسان مع الحيوان ، يقول الدكتور ضياء الرحمن الأعظمي (الأستاذ بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة سابقاً ، والذي كان من متبعي

---

[1] انظر للترجمة العربية : المرجع المذكور أعلاه ،ص ٥٧٧ ،وانظر للترجمة الأردية : المرجع المذكور أعلاه ، ص ٣٨٧ ، وانظر للترجمة الإنكليزية : المرجع المذكور أعلاه ،ص ٤٢٣ .

[2] منوسمرتي ، باب ٨ ، أشلوك (آية) ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .

[3] انظر للترجمة العربية : المرجع المذكور أعلاه ، ص ٤٦٧ ، وانظر للترجمة الأردية : المرجع المذكور أعلاه ، ص ٢٩٩ ، وانظر للترجمة الإنكليزية : المرجع المذكور أعلاه ، ص ٣٠٢ .

[4] رام شرت مانس ، باب ١ ، أشلوك ٦٣ ، ط كوركهفور ، كيتا بريس (مطبوع مع الترجمة الهندوسية) ، ص ٦٥٠ .

الدين البرهمي ومنتمياً إلى طبقة برهمن ثم أسلم بفضل الله وحسن إسلامه) :

" وجعل الشودرا (المنبوذين) في أرذل الطبقات البشرية ، وجردهم من جميع الخصائل الإنسانية ، فهم كالحيوان بل أذل منه ، إذ تقدس البقرة وتعبد ، بينما تستهان طائفة " الشودرا " ، والله إنه لجور وعدوان على الجنس البشري " [1] .

ويقول الدكتور عبد المنعم النمر المصري الذي قضى سنتين في الهند :

" إن أقسى القلوب لتحس بالإشفاق لما يعانيه هؤلاء المساكين من احتقار ،وأعتقد أنه لا توجد جماعة في العالم ترهق بما يرهق به هؤلاء من ازدراء ،ولا يستطيع أي إنسان أن يحس إحساساً حقيقياً بحالة هؤلاء إلا إذا رآهم وشاهد وعرف عن قرب ما يلاقونه من هوان ،إن أي قارئ عربي لا يستطيع أن يتصور المهانة التي كان فيها هؤلاء والتي لا يزالون يرزحون تحتها " [2]

ويقول العلامة أبو الحسن علي الندوي : " أما نظام الطبقات فلم يعرف في تاريخ أمة من الأمم نظام طبقي أشد قسوة وأعظم فصلاً بين طبقة وطبقة وأشد استهانة بشرف الإنسان من النظام الذي اعترفت به الهند دينياً ومدنياً ، وخضعت له آلافاً من السنين ولا تزال " [3] .

هذا هو النظام الطبقي الجاثم على صدر المجتمع الهندي ، ولا يزال سائداً في أنحاء بلاد الهند ، نعم ، قد تغيرت أمور وتحسنت إلى حد في بعض مجالات الحياة . فمثلاً منح لكل طبقة حق لترك عمل معهود له واختيار عمل آخر ، وكذا منح لكل طبقة حق لطلب العلم . ومن المعلوم أن تحديد عمل مخصوص لكل طبقة من أهم خصائص البرهمنية والنظام الطبقي ،إلا أن هذه الخصوصية لم تبق كما كانت في القرون الماضية ، أما غيرها من خصائص البرهمنية فلا تزال باقية . وما حدث التغير في بعض خصائصها فلأجل الدستور الذي يخالف النظام الطبقي تماماً والذي في الحقيقة ميثاق الثورة ضد البرهمنية .

---

[1] د . محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، فصول في أديان الهند ، ط المدينة المنورة ، دار البخاري للنشر والتوزيع ، ص ٥٥ .

[2] د . عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، ط الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، بيروت، المؤسسة الجامعة ، ص ٦٢ .

[3] الشيخ أبو الحسن علي الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ط المنصورة أمام جامعة الأزهر ، مكتبة ، ص ٥١ .

دراسة وجيزة لتاج العروس من جواهر القاموس

الدكتور مزمل كريم *

الهند لها علاقة وثيقة مع العرب واللغة العربية منذ بداية ظهور الإسلام،وقد اهتم العلماء الهنود باللغة العربية تعليماً وتعلماً ،وأعدوا تراثاً علمياً ضخماً لتطويرها في أرجاء الهند ،ولم يبق أي مجال إلا تركوا فيه آثاراً جليلةً، ومنها المعاجم العربية ،ولم يقتصروا على اللغة العربية بل توسعت أعمالهم إلى اللغات الهندية العديدة التي تنطق وتفهم على نطاق واسع ،مثلاً من العربية إلى العربية ،ومن العربية إلى الأردية وبالعكس،والعربية إلى الإنكليزية وبالعكس ،ومن العربية إلى اللغات الأخرى وبالعكس ، وتلقت هذه المعاجم قبولاً واسعاً في الهند وخارجها ، وعني العلماء والطلاب بها عنايةً بالغةً ،من أهم هذه المعاجم " العباب الزاخر واللباب الفاخر " لرضي الدين حسن بن محمد الصغاني ،و " مجمع بحار الأنوار " لمحمد طاهر البتني، و " كشاف اصطلاحات الفنون " للقاضي محمد أعلى التهانوي ، و " قاموس في ألفاظ اللغة العربية " للسيد سليمان الندوي و " مصباح اللغات " لعبد الحفيظ البلياوي " و " القاموس الوحيد " لوحيد الزمان الكيرانوي و " تاج العروس من جواهر القاموس " للعلامة السيد مرتضى الزبيدي البلكرامي الذي نحن بصدده الآن .

نبذة عن كاتب " تاج العروس " :

بلكرام هي بلدة قديمة شهيرة تقع في مديرية هردوئ ، وكانت هي إحدى مقاطعات أوده الشهيرة قبل استقلال الهند ، والآن هي إحدى مديريات أترابراديش (الهند) ، وأنجبت هذه البلدة كبار الشخصيات في مجالات متنوعة ، " منها عبد الواحد صاحب " سبع سنابل " وعبد الجليل البلكرامي وابنه محمد الملقب بالشاعر ، عماد الملك سيد حسين

* الأستاذ المساعد (الموقت) ، جامعة خواجة معين الدين جشتي للغات ، لكناؤ ، mkarim512@gmail.com

البلكرامي ، وهو أول هندي اختير أميناً لمجلس الحكومة الهندية ١٩٠٧م ، ومرتضى حسين المعروف بالله يار ثاني صاحب " حديقة الأقاليم " [١] وغلام آزاد علي البكرامي ، ومن هذه السلسلة السيد مرتضى الزبيدي البلكرامي صاحب المؤلفات الكثيرة .

" ولد محمد مرتضى الزبيدي البلكرامي بن سيد محمد بن مير سيد قادري في بلكرام قريبةً بيل تسمى أيضاً سري نكر ، ١١٤٥ هجرياً " [٢] ، وكانت أسرته جمهرة الأقطاب في العلوم الإسلامية وآدابها الظاهرة والباطنة " [٣] ، وكانت شريفةً وذات أثر ونفوذ كبير في عهدها ، ويتولى أهل أسرته منصب القضاء والفتيا " ، وينتمي إلى الأشراف الواسطية الذين قدموا إلى بلكرام بمأتي سنة ، وجده الأعلى في الهند هو السيد محمد صغرى القادم الأول ، وينتهي نسبه بواسطته إلى علي بن أبي طالب " [٤] .

" وأخذ العلوم النقلية والعقلية في مدينة زريد على جماعة أعلام ، منهم السيد العلامة أحمد بن محمد مقبول الأهدل ، والشيخ عبد الخالق ابن أبي بكر المزجاجي ، والشيخ محمد بن علاء الدين المزجاجي ، ثم توجه إلى إقليم مصر واستكمل فيها العلوم النقلية والعقلية وبرع في جميع العلوم لا سيما علمي الحديث واللغة " [٥] .

كان مغرماً بدراسة علم الحديث واللغة ، ووجد هناك عدداً كبيراً من الأساتذة الذين أتاحوا له فرصة الاستفادة من علمهم وتجربتهم ، واستجاز منهم الحديث ، وسافر إلى أماكن عديدة لحصول العلم وإجازة الحديث وللسند العالي للحديث "، وقد أجاز له مشايخ المذاهب الأربعة وعلماء البلاد الشاسعة ، ولقي الشيخ أبا الحسن بن محمد صادق السندي ، المدني صاحب الشروح على الصحاح الستة ، والمولوي خير الدين السورتي ابن محمد زاهد

---

[١] دائرة المعارف الإسلامية ، ناشر دانشكاه بنجاب لاهور ، ج ٤ ، ص ٨٤٤ .
[٢] المجمع العلمي الهندي ، العدد١ – ٢ ، أبو محفوظ الكريم معصومي ، ١٩٨١م ، العدد المزدوج ، ١ – ٢ ، ص ٣ – ٤ .
[٣] أيضاً ، ص ٢٠ – ٢١ .
[٤] أيضاً ، ص ١٤ .
[٥] أبجد العلوم صديق حسن خان القنوجي ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩م ، ص ١١ .

وغيرها "[1] ، أنه أيضاً قد تلمذ على الإمام ولي الله المحدث الدهلوي "[2] .

لم ينته غليله العلمي هاهنا ، فشدَّ الرحال إلى أماكن أخرى ، " حوالي إحدى وستين ومائة وألف ، أزمع السيد مرتضى على أن يغادر للقطر اليماني فدخل زبيد إحدى بلدة اليمن ، ولعله قضى بها وبما يصاحبها من الأرجاء مدة سنتين أو فوقها ، وترحل غير مرة إلى الحجاز ، وأدرك السيد عبد الرحمان العيدروسي في مكة المكرمة ، وكان سيد العيدروسي حبب إليه أن يزور مصر "[3] ، ويقول في نفسه : رحلت إلى أسيوط وجرجان وفرشوط ، وسمعت في كل منها ، وأجازني من مدينة حلب جماعة ، ومن مدينة فاس وتونس ، وسولا ، وتلمسان جماعة ، وأدركت من شيوخ المغاربة جماعة مسندين بمصر وغيرها "[4] ، وجاء مصر ١١٦٧ هجرياً ، وحضر دروس شيوخ الوقت ، وتقرب من إسماعيل كتخذا عزبان وأولاده ، ولما أنشأ محمد بك أبو الذهب مكتبة في جامعة قرب الأزهر ، أوغروا إليه أي يقتني تاج العروس فاشتراه منه بمائة ألف درهم "[5] .

تعد شخصيته متنازعةً على أنه هندي أم يمني ، لأنه قد أقام طويلاً في اليمن ، وتوفي في مصر كما يقول الشيخ أبو محفوظ الكريم المعصومي : " قد توفي بالقاهرة مصر ، وزعموه جميعاً زبيدياً مصرياً ، ولا يعرف أي واحد منهم أنه كان من بلكرام حوالي قنوج ، وقلما اتفق لأحد من علماء الهند أن يتاح له في العلم والفضل والفقه واللغة وغيرها ما أتيح له من القدمية والسمعة والقبول من عند الله تعالى "[6] ، ويقول النواب صديق حسن خان : " وقد أقام رحمه الله تعالى بزبيد حتى قيل له الزبيدي ، واشتهر بذلك واختفى على كثير من الناس كونه من الهند ومن بلكرام "[7] ، ويقول النواب صديق حسن خان : " إن السيد أصله من

[1] أيضاً ، ص ٢٣ .
[2] المجمع العلمي الهندي ، العدد ١ – ٢ ، أبو محفوظ الكريم معصومي ، ص ١٨ .
[3] أيضاً ، ص ١٨ .
[4] أبجد العلوم صديق حسن خان القنوجي ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩م ، ص ١٩ .
[5] تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٢م ، ج ٣ ، ص ١٠٩٩ .
[6] المجمع العلمي الهندي ، العدد ١ – ٢ ، أبو محفوظ الكريم معصومي ، ص ١٨ .
[7] أبجد العلوم صديق حسن خان القنوجي ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩م ، ص ٢٣ .

السادة الواسطية من قصبة بلكرام ، وهي على خمسة فراسخ من بلدتنا قنوج ماوراء نهر كنك " [1] ، ويقول أيضاً عمر رضا كحالة : " مولده في بلجرام في الشمال الغربي من الهند ، ومنشأه في زبيد باليمن " [2] .

وشخصيته تمتاز بغزارة العلم وتفوق الأقران ، " كان يعرف التركية والفارسية والكرجية ، وسعى بعض مشايخ الأزهر للأخذ عنه ، وخالف علماؤه في طريق الإلقاء فزاد الناس إقبالاً عليه وتسابقوا في دعوته إلى بيوتهم وأهدوه الهدايا وما زال كذلك حتى مات " [3] ، وهي شخصية فذة لتبحر العلوم وكثرة التصانيف ، ومعظم تصانيفه يدور حول موضوع الحديث والفقه واللغة ، منها " شرح إحياء علوم الدين " ، و " تكملة القاموس " مما فاته من اللغة لم يكمل ، و " شرح حديث أم زرع " ، و " رفع الكلل عن العلل " ، و " تخريج حديث شيبتني " ، و " المواهب الجلية فيما يتعلق بحديث الأولية " ، و " المرقاة العلية في شرح الحديث المسلسل بالأولية " ، و " تفسير سورة يونس على لسان القوم " ، و " الأمالي الحنفية " في مجلد ، و " كشف الغطاء عن الصلوة الوسطى " [4] ، قد شرح القاموس المسمى بتاج العروس ، ونقوم بإلقاء الضوء عليه بالتفصيل ، وهكذا له مصنفات أخرى قيمة حول موضوعات الحديث والفقه والتصوف وغيرها .

معجمه :

" تاج العروس " هو من أهم المعاجم العربية التي تحتل مكانةً مرموقةً في مجال المعاجم ، وهو في الحقيقة شرح القاموس المحيط للفيروز آبادي ، ظهرت في القرن الثالث عشر هجرياً . وهو في ١٤ مجلداً ، " بعد إكمال في حياته أولم وليمةً جمع فيها طلاب العلم وأشياخه سنة ١١٨١م وأطلعهم عليه فشهدوا بفضله وقرظوه " [5] ، وهذا كثير التناول والاستخدام في المدارس الدينية والجامعات العربية الرسمية ، واهتم

---

[1] أيضاً ، ص ٢٣ .

[2] معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ج ١١ ، ص ٢٨٢ ، بغير السنة .

[3] تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، ج ٣ ، ص ١١٠٠ .

[4] معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ، ص ١٥ – ١٦ .

[5] تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، ج ٣ ، ص ١٠٩٩ .

العلماء والباحثون اهتماماً بالغاً بالشرح والنقد والتحليل ، وأعدوا عدداً من الدراسات حول هذا القاموس ، وقام العلماء بتناول نواحٍ مختلفة ، وشرح بعضهم خطبة القاموس الشهيرة التي ضربت بها الأمثال ، وقد استدرك بعضهم لما فات منه ، من هؤلاء العلماء النور علي بن غانم المقدسي ، والسيد علامة علي بن محمد معصوم الحسيني الفارسي ، ولكن مع ذلك عزم العلامة البلكرامي على شرح القاموس شرحاً شاملاً يتناول كل نواحيه ، فيقول في مقدمة معجمه : " فلما آنست من تناهي فاقة الأفاضل إلى استكشاف غوامضه والغوص على مشكلاته ولا سيما من انتدب منهم لتدريس علم الغريب ، وإقراء الكتب الكبار من القوانين العربية في القديم والحديث ، فناط به الرغبة كل طالب ، وعشا ضوء ناره كل مقتبس ووجه إليه النجعة كل رائد . . . قرعت ظنبوب اجتهادي واستسعيت بعيوب اعتنائي في وضع شرح عليه ممزوج العبارة ، جامع لمواده بالتصريح في بعض ، وفي البعض بالإشارة ، واف ببيان ما اختلف من نسخه ، والتصويب لما صح منها من صحيح الأصول ، حاو لذكر نُكته ونوادره ، والكشف عن معانيه ، والإنباء عن مضاربه ومآخذه بصريح النقول ، والتقاط أبيات الشواهد له مستمداً ذلك من الكتب التي يسر الله بفضله وقوفي عليها وحصل الاستمداد عليها " [1] .

وقام المؤلف بجهد علمي كبير في شرح معضلاته وتوضيح غموضه ، ورجع إلى جميع أمهات الكتب التي تتناول أي ناحية من هذا الموضوع ، واستفاد منها مباشرة لكي يصل إلى مغزى المفردات ، وهناك عدد كبير من المصادر التي استفاد منها المؤلف ، فيقول المؤلف : نقلت بالمباشرة لا بالوسائط عنها لكن على نقصان في بعضها نقصاً متفاوتاً بالنسبة إلى القلة والكثرة ، وأرجو منه سبحانه وتعالى الزيادة عليها " [2] ، يمكن لنا أن نقسمهم في أقسام تالية :

" المعاجم اللغوية ، مثل الصحاح لأبي نصر الجوهري ، والرسائل اللغوية

---

[1] مقدمة تاج العروس ، لمرتضى الزبيدي البلكرامي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، ١٩٦٦م ، ج ١ ، ص ٣ .
[2] أيضاً ، ج ١ ، ص ٣ .

مثل تهذيب الأبنية والأفعال لابن القطاع ، وكتب الأمثال مثل المستقصي للزمخشري ، وكتب النحو والصرف مثل الخصائص ، وكتب تاريخ وطبقات وأنساب مثل كتاب أنساب الخيل ، وكتب أدب مثل زوائد الأمالي للقالي ، وعلوم قرآن وقرآءة مثل الحجة في القراءات السبعة لابن خالويه ، كتب جغرافية وبلدان مثل معجم ما استعجم للبكري ، وكتب حيوان مثل الحيوان للدميري ، وكتب نبات وطب مثل التذكرة في الطب لداود الأنطاكي ، وكتب سياسة ونظم مثل قوانين الدواوين للأسعد بن مماتي [1] .

جمع المؤلف اللآلي من هذه الكتب ، وصار هذا التأليف بمثابة عقد قد جمعت اللآلي فيه ، ولم يبدل شيئاً من مفردات من الأصل أي القاموس المحيط ، ولم يلخص أولم ينقص شيئاً منه ، بل قد كشف عن معضلاته ، وحقق فيه ، وفتحه مزيداً بالاستناد إلى أمهات الكتب المذكورة ، فيقول في مقدمته : " فجمعت منها في هذا الشرح ما تفرق ، وقرنت بين ما غرب منها وما شرق . فانتظم شمل تلك الأصول والمواد كلها في هذا المجموع ، وصار بمنزل الأصل وأولئك بمنزلة الفروع . . . وليس لي في هذا الشرح فضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أتمسك بها سوى أنني جمعت فيها ما تفرق في تلك الكتب من منطوق ومفهوم ، وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسيرة وطالب العلم منهوم " [2] .

وكتب المؤلف مقدمة طويلة لقاموسه ، تحتوي قريباً على ٣٢ صفحة " وهذه المقدمة تنقسم إلى ثلاثة أجزاء : تصدير وجزء أساسي وخاتمة ، ويشتمل التصديرعلى هدف التأليف ومنهجه فيه ، والجزء الأساسي يشتمل على الموضوعات العديدة من أهمية اللغة العربية وعلم الغة والأدب وغيرها ، وأما الخاتمة فتشتمل على شرح مقدمة القاموس المحيط والتعليق عليها .

هذا معجم طويل ، ويعد هو من كبار المعاجم العربية ، يحتوي على عشرة مجلدات ، وقد استغرق تأليفه وقتاً طويلاً ، حتى إن المؤلف لم

---

[1] المعجم العربي : نشأته وتطوره ، للدكتور حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، بغير السنة ، ج ٢ ، ص ٦٤٠ – ٦٤١ .

[2] مقدمة تاج العروس ،لمرتضى الزبيدي البلكرامي ،دار ليبيا للنشر والتوزيع ، ج ١، ص ٥.

يستطع أن يكمله في حياته ، ويقول جرجي زيدان : " لم يستطع إتمامه في حياته ، فأتمته لجنة بعد مماته ، فبلغت صفحاته أكثر من ٣٠٠٠ صفحة كبيرة مزدوجة ، واستغرق طبعه بضع عشرة سنة في إيدنبج ، صدر الجزء الأول منه ١٨٦٣م ثم صدرت سائر الأجزاء " [١] .

طُبعت أيضاً أولاً في مصر بعض مجلدات في سنوات مختلفة ، " وطبع كله فيها من ١٣٠٦م – ١٣٠٧م في عشرة مجلدات . ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية " [٢] .

منهجه في المعجم :

قد حافظ الزبيدي على نصوص مؤلف الكتاب الأصل ، ولم يغير شيئاً ، بل ميَّز عباراته عن شرحه بالقوسين ، " قد أبقى ترتيب الكلام كما كان في القاموس : أي على أواخر الألفاظ ، وصدره بمقدمة في عشرة مقاصد" [٣] ، فيبتدئ قاموسه مثل القواميس العربية العامة فيبدأ بباب الهمزة وفصل الهمزة " ولكن مؤلف التاج نهج على أن يصدر كل باب بكلمة قصيرة عن الحرف المعقودة له هذا الباب ، فيبين مخرجه وصفته وإبدالاته وما إلى ذلك " [٤]، ويقول في مادة عقق " (العقيق : خرز أحمر) تتخذ منه الفصوص (يكون باليمن) بالقرب من الشحر ، يتكون ليكون مرجاناً فيمنعه اليبس والبرد . قال التيفاشي يؤتى به من اليمن من معادن له بصنعاء ثم يؤتى به إلى عدن ، ومنها يصل إلى سائر البلاد " [٥] ، ثم يأتي بالشواهد من مختلف القواميس ويراجع إلى كتب اللغة الأخرى من " التهذيب " و " لسان العرب " لابن بري وتبريزي ، و " المحكم " لابن سيدة ، و " كتاب الغريبين " لأبي عبيدة وغيرهم، ويشرحه شرحاً مفصلاً ، ويستدل بشعر العرب القديم، ويذكر الصيغ المختلفة للفظ واحد ، ويستند إلى كتب متعلقة في كل لفظ

---

[١] تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، ج ٣ ، ص ١١٠٠ .
[٢] تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، ج ٣ ، ص ١١٠٠ .
[٣] أيضاً ، ص ٣١١ .
[٤] المعجم العربي : نشأته وتطوره ، للدكتور حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، بغير السنة ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ .
[٥] تاج العروس ، لمرتضى الزبيدي البلكرامي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، ج ٧ ، ص ١٥ .

مهما كان موضوعه فمثلاً حينما يأتي أي لفظ متعلق بالطب فيرجع إلى كتب الطب ويأتي بأدلة مقنعة ، ويستدل بالأحاديث النبوية إذا ورد ذلك اللفظ في كتب الأحاديث ، مثلاً قال في (طرز) ، ومنه ما روي عن صفية أنها قالت لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم : من فيكن مثلي ؟ أبي نبي ، وعمي نبي ، وزوجي نبي ، وكان صلى الله عليه وسلم علَّمها لتقول ذلك ، فقالت لها عائشة : ليس هذا من طرازك : أي من نفسك وقريحتك " [1] ، وانتقد الزبيدي في عدة مواقف على رأي الفيروزآبادي بالإشارة بغير صراحة واضحة قال في روش : " (الروش) أهمله الجوهري ، وقال ابن الأعرابي هو (الأكل الكثير) والروش أيضاً (الأكل القليل ضده) قلت : هذا خطأ عظيم وقع فيه المصنف فإن الذي نقله ثعلب عن الأعرابي أن الروش الأكل الكثير ، والورش الأكل القليل فهو ذكر الروش ومقلوبه فليتنبه لذلك " [2] .

عندما يبدأ أي باب يشرح خصائص ذلك الحرف ، ويبين مخارجها وكيفية أدائها من الفم فمثلاً عندما يبدأ باب الجيم فيقول : " من الحروف التي تؤنث ويجوز تذكيرها ، وقد جيمت جيما ، كتبتها وهي من الحروف المجهورة وهي ستة عشر حرفاً ، وهي أيضاً من الحروف المحقورة ، وهي القاف والطاء والدال والباء يجمعها قولك " قطب جد " سميت بذلك لأنها في الوقت تحقر وتضغط عن مواضعها ، وهي حروف القلقلة لأنك لاتستطيع الوقوف عليها إلا بصوت ، وذلك لشدة الحقر والضغط ، والجيم والشين والضاد ثلاثة في حيز واحد ، وهي من الحروف الشجرية ، والشجر مفرج الفم ، ومخرج الجيم والكاف والقاف بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم " [3] .

وبالجملة أن هذا القاموس يعد من أهم المراجع في مجال القواميس ، وقد تلقى قبولاً واسعاً في مجال الأدب ، ولا يمكن لأي باحث أي يستغني عنه في هذا المجال .

---

[1] أيضاً ، ج ٤ ، ص ٤٨ .
[2] أيضاً ، ج ٤ ، ص ٣١٥ .
[3] تاج العروس ، لمرتضى الزبيدي البلكرامي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، ج ٢ ، ص ٢

رجال غيّروا مجرى التاريخ

الأستاذ الحافظ أحمد سالم الهدوي *

قد أنجب الإسلام شخصيات بارزةً وأعياناً عمالقةً غيّروا مجرى التاريخ ، ولعبوا دوراً مهماً في نشر نور الإسلام في كل أنحاء المعمورة بما فيهم الغُزاة والمجاهدون والربانيون والقادة المبجلون . ومن أشهرهم :

سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه (٥٩٢ – ٦٤٢م) :

وهو صحابيّ وقائد عسكري مشهور في الخطة العسكرية في فتوح العراق والشام خاصةً في عهد الخلفاء الراشدين . قد حارب القوات العديدة مثل الإمبراطورية الرومانية والساسانية والبيزنطينية ولم يُهزم . وأذاق جيش الروم أشدّ الهزيمة في معركة اليرموك سنة ٦٣٦م تحت قيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح . وروي أنّ خالد بن الوليد قال وهو على فراش موته : لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح .

عقبة بن نافع (٦٣١ – ٦٨٣م) :

تابعي وقائد يُعرف بفاتح أفريقية . وقد تولّى ولاية أفريقية مرتين : إحداهما في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى في عهد ابنه يزيد . قد شارك في فتح مصر تحت رئاسة عمرو بن العاص ، وكان والياً على برقة من قبل ابن العاص . ثم ولاّه الخليفة معاوية على أفريقية . ومن مساهماته أنه بنى مدينة قيروان لتكون معسكراً لرباط المسلمين وامتدّت مدّة بنائها إلى أربع سنوات . وبنى بقيروان مسجداً عظيماً وهو المشهور حالياً بجامع عقبة بن نافع . ولا تزال ذاكرة الزمان تعي هذه الشخصية الفريدة حيث إنه حامل لواء الإسلام إلى شواطئ أفريقية .

طارق بن زياد (٦٧٠ – ٧٢٠م) :

قائد مغوار ، عُرف بفاتح الأندلس وشبه الجزيرة الأيبيرية . كان

* محاضر في كلية دار الحسنات الإسلامية ، مالافورم ، كيرالا .

مولى لموسى بن نصير والي أفريقية من قبل عبد الملك بن مروان ، الخليفة الأموي وولاّه على طنجة . لمّا شكا أهل الأندلس لموسى بن نُصير عن حاكمهم لذريق الظالم (Roderick) أرسل جيشاً جراراً معظمهم من البربر تحت قيادة طارق بن زياد . فسار بهم حتى نزل بجبل طارق (Gibraltar) وفتح الحصون ذوات الأهمية الاستراتيجية . لمّا انتهى إلى الأندلس حرّض الجيش وحثهم على الجهاد وخطب خطبة بليغة جذابة لا مثيل لها في التاريخ . لمّا تولّى سليمان بن عبد الملك الخلافة عزل طارقاً وقتل ابنه فأهمله الناس ومات فقيراً .

صلاح الدين الأيوبي (١١٣٨ – ١١٩٣م) :

هو بطل الإسلام ومحرِّر القدس ومؤسس الدولة الأيوبية التي وحّدت مصر والشام والحجاز واليمن في ظلّ الراية العباسية بعد أن قضى على الخلافة الفاطمية في مصر . هو الناصر أبو المظفر يوسف صلاح الدين بن نجم الدين أيوب . كان أبوه نجم الدين أيوب والياً على قلعة تكريت في العراق ، وكان يدعو الله أن يمنح له امرأة تنجب له ولداً يُحرِّر بيت المقدس . ذات يوم لما رأى صلاحَ الدين يلعب مع أترابه قال له : لم أُنجبك لهذا ، وإنما أنجبتك لتحرير بيت المقدس . قد تلقّى صلاح الدين الأيوبي تربيةً مثل هذه التربية منذ نعومة أظفاره .

وكان تلميذاً لعمّه الملك نور الدين محمود الزنكي ، فورث منه الأدب والورع وحب الجهاد . وكانت مصر في ذلك الوقت مركز الفاطميين وطمع فيها الصليبيّون بسبب ثورات داخلية فأرسل نور الدين محمود جيشاً تحت قيادة أسد الدين شيركوه يساعده ابن أخيه صلاح الدين . ولما علم الصليبيّون بقدوم الجيش تركوا مصر وتولّى أسد الدين شيركوه ولاية مصر ثم خلّف عليها صلاح الدين . سكّن صلاح الدين الثورات الداخلية في مصر بعد وفاه الخليفة الفاطمي العاضد سنة ٥٦٦هـ وحكم مصر كنائب لملك نور الدين . توفي السلطان نور الدين سنة ٥٦٩هـ واستقرّ الأمر لصلاح الدين في مصر واستقلّ بحكمها وجمع الى سلطنته الشام وحلب ودمشق بعد إخماد الثورات فيها وأسّس الدولة العباسية .

وقعت معارك حاسمة بين صلاح الدين والصليبيّين ، ومن أشهرها معركة حطين الواقعة سنة ١١٨٧م التي هزمهم فيها أشد الهزيمة

وكسّرهم كسرةً شنيعةً وحرر منهم بيت المقدس – حرم المسلمين – بعد ما احتلّوها في الحرب الصليبيّة الأولى . وعامل القدس وسكانه معاملة حسنة لا يوجد لها مثيل في التاريخ . كانت هذه الواقعة فصلاً مهماً في تاريخ الإسلام ، وكذا الغرب حيث علم الغرب قوة الإسلام الروحيّة والمادية .

توفي الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وقال حين قربته الوفاة : لولا أن الموت أتاني لجعلت جميع الدول الأوروبية تدين الإسلام . وكانت حياته حافلةً بالخدمات الإسلامية وقد أمضى أكثر من ٢٠ عاماً راكباً على الخيل يجاهد في سبيل الله وشغله الجهاد عن حج بيت الله الحرام . وكان يقول : إني أستحيي من الله أن أضحك والمسجد الأقصى أسير .

عثمان الغازي (١٢٥٨ – ١٣٢٤م) :

هو عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه القايوي مؤسس الدولة العثمانية التي امتدت ستّة قرون تقريباً . كان أبوه أرطغرل عاملاً للدولة السلجوقية وقائد قبيلة الكاي التي كانت تسكن في الأناضول الواقعة بتركيا حالياً . وكانت هذه القبيلة تتنقل من مكان لآخر في طلب المعيشة . وفي الآن ذاته كانت المغول وسلاجقة الروم تسيطر على بعض الأنحاء من أوروبا وآسيا الوسطى . وكانت الأمة المسلمة معظمها تستظل تحت راية الخلافة العباسية . بعد وفاة أبيه أرطغرل ولّى عثمان قيادة القبيلة وأنشأ نظاماً وترتيباً في مناطقه بفضل الخليفة السلجوقي . ولما هاجم المغول على السلاجقة أعلن عثمان استقلاله عنهم وأنشأ دولةً مستقلةً سُميت فيما بعد باسمه الدولة العثمانية .

قد حارب الأعداء الألداء – المغول والبيزنطيين – في حروب متعددة وفتحَ مدناً ضخمةً وحصوناً متينةً مثل يارحصار وإزنيك وبرصة . حقّق عثمان الغازي هذه الفتوحات بدعم شديد وتحريض من شيخه الشيخ أديب علي الصوفي المشهور . وكان من أمنية عثمان الغازي أن ينشر نور الإسلام في كل جهات العالم عبر سلسلته ونسله ، وقد حقّق الله هذا الحلم بأبنائه وأحفاده الذين ضحّوا بنفسهم ونفيسهم في إعلاء كلمة الحق مثل السلطان سليمان القانوني ومحمد الفاتح وعبد الحميد الثاني وغيرهم .

السلطان سليمان القانوني (١٤٩٤ – ١٥٦٦م) :

هو ابن السلطان العثماني سليم خان الأول وعاشر السلاطين

العثمانيين والملقّب الثاني بـأمير المؤمنين بعد وفاة أبيه الخليفة الأول سليم خان . قد امتدت مدة سلطنته من ١٥٢٠ إلى ١٥٦٦م أي ما يقارب ٥٠ سنة . وبلغت الدولة العثمانية في عهده إلى قمة المجد وذروة العظمة . وكان السلطان سليمان حاكماً بارزاً حيث لقّبه الغرب بسليمان العظيم والشرق بسليمان القانوني لِما أصلح في النظام القضائي العثماني بإصلاحات قيمة جديدة فريدة . شاهد العلم دهاءه ومهارته في المجالات المختلفة من السياسية والاقتصادية والعسكرية . قد غزا القوات الأوروبية وفتح المراكز المسيحية مثل بلغراد ورودس وبدابدست . ومن إنجازاته الممتازة حصار فيينا (Vienna) سنة ١٥٢٩م .

وهذه الواقعة أظهرت مهارته في قيادة الجيوش ، وملأ قلوبَ الأعداء بالخوف . سيطرت الأساطيل العثمانية في عهده في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر تحت قيادة الرؤساء والقادة المشهورين مثل خير الدين بربروسا وإخوته البحّاريين . وكان الملوك الأوربيون يطلبون الدعم والمساعدة من السلطان القانوني خلاف أعدائهم كما طلب ملك هولندا المساعدة العسكرية منه لما حاول إسبانيا احتلال هولندا . قال عنه المؤرّخ الألماني هالمر : إن سليمان أخطر على أوروبا من صلاح الدين الأيوبي . توفي سنة ١٥٥٦م لأسباب طبيعية .

السلطان محمد ألب أرسلان (١٠٢٩ – ١٠٧٢م) :

هو ضياء الدين أبو شجاع محمد ألب أرسلان بن شاغري بن سلجوق بن دقاق . واحد من السلاطين السلجوقيين وصاحب الانتصار الخالد على الروم في معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١م . بلغ حد حكمه من أقصى بلاد ما وراء النهر إلى أقصى بلاد الشام . كان ألب أرسلان مشهوراً ببسالته وشجاعته منذ صغره حتى لُقب بألب أرسلان أي الأسد الباسل . تولى الحكم بعد وفاة عمه طغرل بك مؤسس الدولة السلجوقية سنة ١٠٦٣م . كان وزيره نظام الملك معروفاً بالذكاء وقوه النفوذ حيث إنه لعب دوراً مهماً في تثبيت حكم السلطان ألب أرسلان وابنه ملكشاه بعده .

كان ألب أرسلان كعمّه قائداً بارعاً ظهرت مهارته في الاستراتيجية الحربية خاصةً خلاف القوات البيزنطينية . ومن أهم إنجازات

السلطان فوزه في معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١م . فاز فيه السلاجقة فوزاً كاسحاً على القوات البيزنطينية تحت قيادة الإمبراطور رومانوس جالينوس . وهذا الفوز أدّى الطريق للأتراك للدخول إلى الأناضول ونشر رسالة الإسلام فيها . ومن خطبته المشهورة قبيل معركة ملاذكرد : إني أقاتل محتسباً صابراً فإن سلِمتُ فنعمة من الله وإن كانت الشهادة فهذا كفني . ثم ربط ذيل فرسه بيده ولبس البياض كَفَنَاله . انهزم الروم وأسر إمبراطورهم فطلب من السلطان الفدية بالمال فاشترط السلطان عليه أن يُحرِّر كل أسير مسلم في بلاد الروم . وعقد البيزنطيون صلحاً مع السلاجقة وطالت مدته ٥٠ عاماً . توفي سنة ١٠٧٢م بسبب طعن رجل يسمى يوسف الخوارزمي ودفن في مدينة مرو بجوار قبر أبيه .

السلطان محمد الفاتح (١٤٢٩ – ١٤٨١م) :

هو الملك المجاهد والسلطان الغازي محمد خان الثاني بن مراد الثاني العثماني صاحب البشارة النبوية وفاتح القسطنطينية وسابع سلاطين آل عثمان . ولد سنة ١٤٢٩م بمدينة أدرنة ، ويُروى أن والده مراد الثاني لم ينم طوال الليل لما علم بمخاض زوجته خديجة خاتون . وما زال يقرأ القرآن ولّما بلغ سورة الفتح أتته البشارة بأن زوجته أنجبت صبياً ففرح وقال : الحمد لله لقد تفتّحت وردة محمدية في روضة مراد . نشأ وترعرع في جوّ دينيّ وتعلّم العلوم الدينية واللغتين العربية والفارسية من معلمه أحمد بن إسماعيل الكوراني ثم تعلم علوم القرآن وعلم الحديث والفقه وأصوله والجغرافية والمنطق والرياضات والفلك على يدي مرشده ومربّيه المشهور شمس الدين محمد بن حمزه المشهور بآق شمس الدين . وهذان الشيخان غرسا في قلب السلطان منذ صغره بأنه هو صاحب البشارة النبوية عن فتح القسطنطينية في الحديث الشريف : لتفتحّن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش .

جلس محمد الثاني على العرش العثماني مرتين : الأولى بعد وفاة شقيقه الأكبر علاء الدين واعتزال والده عن الحياة السياسية بسبب الهزيمة من قبل الصّليبيّين ، وفي تلك الفترة ما كان السلطان يمسك الحكم إمساكاً متيناً . فطفقت ثورات داخلية وخارجية من قبل الأعداء

باستغلال عزلة السلطان مراد الثاني ، فأجبر على العودة وأسكن الثورات بجيشٍ جرار . الثاني بعد وفاة أبيه مراد الثاني وهذه الفتره كانت مرحلةً ذهبيةً في التاريخ الإسلامي . قد حكم البلاد حكماً عادلاً وأقام العدل وأثبت التسامح الديني وبنى المساجد والمدارس وأزال الظلم . ومن إنجازاته العظيمة فتح القسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطينية سنة ١٤٥٣م . وهذا الفتح أنهى الحكم الروماني ، وكان فاتحة عهد جديد لا في التاريخ الإسلامي فقط بل في تاريخ البشرية جمعاء .

كانت خطته الحربية في فتح القسطنطينية مثيرةً للدهشة والتعجّب ، لأنه لمّا علم بعدم استطاعته على عبور مضيق بوسفرس إلى القرن الذهبي أتى بخطة عجيبة ، وهي أنه مهّد طريق البَّر الذي يبلغ طوله ثلاثة أميال ووضعت فوقه ألواح من الخشب وصُبّت عليها كميّة هائلة من الزيوت والشحوم لتسهيل انزلاق السفن عليها . وبهذا أمكن نقل حوالي ٧٠ سفينة من البرّ إلى البحر في ليلة واحدة . واستعمل الجيش العثماني المدافع العظيمة لضرب الحصون والبروج المشيّدة .

وبعد الفتح عاملَ سكان القسطنطينية معاملةً حسنةً ومنح لهم الحرية الكاملة ونقل عاصمته إلى القسطنطينية المسماة باسطنبول حالياً . وقد هاجر بعض أصحاب الفنون والمهرة والعلماء الى الأوطان المجاورة مثل إيطاليا وألمانيا وفرنسا ، وكانت هذه الهجرة سبباً في عصر النهضة الأوروبية في القرن الخامس والسادس عشر . توفي سنة ١٤٨١م بسبب إصابته بالنقرس ، وهو المرض الوراثي لآل عثمان ودفن في إسطنبول بجهه قبلة المسجد الجامع الذي بناه .

ففي الجملة ، فهذه شخصيات بارزة كانت حياتهم حافلةً بالخدمات الإسلامية والإنجازات التي لا تزال تعيها ذاكرة الزمان على كرّ الأزمان والدهور . ووقفوا كالطود الشامخ والجبال الراسية أمام التّحديات وأيقظوا في قلوب الناس الشعور الديني ، وهم كالنجوم الساطعة التي يهتدى بها في الظلمات . فقد آن الأوان للمسلمين أن يتنبّهوا من سباتهم العميق وأن يسيروا على نهج هؤلاء الشرفاء الكرماء المذكورين . أسأل اللّه أن يوفقَنا وللمسلمين لخدمة الإسلام مع الإخلاص الكامل . آمين .

كليم أحمد عاجز وأعماله الشعرية والنثرية

الدكتور محمد سليم أختر *

بيئته ونشأته :

وُلد الشاعر الإسلامي كليم أحمد عاجز (١٩٢٤م – ٢٠١٥م) في فترة برزت فيها الحركة التقدمية ، وتطورت تطوراً في أنحاء الهند ، وغطّت معظم العالم ، وشب وترعرع شاعرنا في فترة اندثر تيارها الأدبي والفكري ، وظهرت حركة التجديد في سماء اللغة الأردية وآدابها تحت قيادة من الأدباء العباقرة ، ونمت اتجاهاتها الفكرية والأدبية في الأمسيات الشعرية والمنتديات الأدبية ، كأن الشاعر الأردي شاهد هاتين الحركتين عن كثب ، وطالعهما بإمعان ودقة ، وأعجب بهما كل الإعجاب ، ولكنه لم يتأثر بهما أي تأثر ، ولم يسلك مسلكهما في تراثه الأدبي ودواوينه البديعة ، بل أخذ منهما أسلوباً أدبياً وسطاً يميزه عن معاصريه ، ويتذكر به في صفحات الكتب الأدبية والبحوث القيمة .

ونشأ في منطقة " عظيم آباد " التي لم تزل ولا تزال مصدراً في الثقافة والحضارة والعلم والأدب في كل عصر ومصر ، والتي طلعت فيها فئة كبيرة من شموس الأدب والشعر في أفق اللغة الأردية المبين نحو : ناسخ وشاد وأبي الكلام آزاد وإمداد إمام أثر ومبارك العظيم آبادي وجميل المظهري وبرويز الشاهدي وقاضي عبد الودود وكليم الدين أحمد وأختر الأورينوي وسهيل العظيم آبادي وغيرهم . فكتب الأديب الأريب الدكتور أختر الأورينوي : " قبل وديابتي وكبير [1] قرض أهل التزكية من ولاية بيهار الشعر في ديار هذه المنطقة ، ولم توجد في هذا العصر إلا نصوص نثرية وشعرية لهم ، وسقى الإحسان الإسلامي أرض بيهار الخضراء ، ووحدت

* رئيس قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية بتنة ، التابعة لجامعة بتنة ، (الهند) .

[1] تجدر الإشارة إلى أن كبيراً (١٤٤٠م – ١٥١٨م) يتمتّع بشهرةٍ واسعة في الهند منذ خمسة قرون ، ليس باعتباره شاعراً فحسب ، بل باعتباره حكيماً وقائداً روحياً أيضاً يبلغ عدد أتباعه اليوم ملايين .

الحركة الناصحة ثقافة الهندوس والمسلم توحيداً ، فنتيجةً لذلك راجت لغة " ريختا " ، ثم اللغة الأردية في ولاية بيهار بالموادة والتجانس والتكيف "[1] . وعبر الشاعر عما كان في ذهنه الواسع عن هذه المنطقة الأدبية : " ها هي منطقة " عظيم آباد " التي رأيتها وشاهدتها بعين المشاهدة ، وتمنيت أن أزورها غير مرة ، ولا يمكن أن يتم هذا التمني ، لأن المساء قد اقترب ، والشمس قد غربت "[2] .

وترعرع الشاعر في أسرة متوسطة تشتمل على أب وأم وأربعة إخوة وثلاث أخوات ، وتتزين بالعلم والعرفان ، وكانت أخته الشقيقة الكبرى " محمودةً " متميزةً بقوة الذاكرة والذكاء الحاد ، مولعةً بمطالعة الكتب القيمة منذ حداثة سنه ، وهي له معلمة أولى شجعته على حصول العلم تشجيعاً صادقاً ، ورغبته في مواصلته ترغيباً شديداً ، ولعبت دوراً هاماً في تشكيل شخصيته العبقرية الملهمة ، فيقول الشاعر : " وهي كانت تحبني حباً جماً ، ولما بدأت الجلوس في الكتاب ، والاختلاف إلى المدرسة ، فهي تُسمع الدرس باهتمام بالغ ، وتقص عليّ القصص الرائعة بعناية فائقة ، وتشغف دائماً بقراءة الكتب عليّ وتفهيمها تفهيماً جيداً ، وهي التي أثارت فيّ ذوق القراءة والمطالعة . . . وهي كانت لي مدرِّبةً ، كما كانت معلمةً في الليلة "[3] .

وكان الشاعر محباً للعلم والعرفان ، مولعاً بمطالعة الكتب الأدبية ، باذلاً قصارى جهوده في الدراسة ، جدياً في عمله القيم منذ نعومة أظفاره ، فلما بلغ السابعة من عمره أكمل قراءة القرآن الكريم ودراسة آمد نامه ونسخة نعيمية ورقعات عزيزية وغلستان وبوستان ، كما طالع في عمره العاشر الروايات الشهيرة للأستاذ نذير أحمد نحو " مرآة العروس " و " بنات النعش " و " ابن الوقت " و " توبة النصوح " وغيرها . وخلال هذه الفترة استوعب برغبة من نفسه دراسة جميع الكتب الموجودة في مكتبة جده الصغيرة ، ولم يترك أديباً وكاتباً إلا قرأ كتاباته ومجلاته .

---

[1] أختر الأورينوي (الدكتور) ، بيهار مين أردو زبان وأدب كا ارتقاء (تطور اللغة الأردية وآدابها في ولاية بيهار)، ترقي بيرو نيو دهلي ١٩٨٩م ، ص ٨٢ – ٨٣ .

[2] عاجز كليم أحمد ، جهان خوشبو هي خوشبو تهي (حيث كانت الروائح منتشرة)، عرشي ببليكشنز إنديا ، دهلي ١٩٨١م ، ص ٣٤٦ .

[3] المصدر السابق ، ص ٢٦ .

ولما سافر إلى مدينة كولكاتا – عاصمة بنغال الغربية ، الهند – بعد أن أصر والده على رحلته إليها بشدة ، فربَّاه والده تربيةً حسنةً ، وعين له معلماً لتزيينه بزينة اللغة الإنجليزية والعلوم الرياضية ، ولكنه – لسوء حظه – لم يستطع أن يركز توجيهاته الكاملة وذهنه الفائق عليها على الرغم من فوزه فيهما بدرجة ممتاز ، بل مالت نفسه إلى التفرج ومطالعة الكتب الأدبية طبيعياً ، وتزايد شغفه بهما يوماً بعد يوم ، فيكتب الشاعر : " لم أشغف بمطالعة الكتب والرسائل الأردية ، بل كنت فيها مجنوناً ، وأظن بل أؤمن به ، قلما يوجد أحد يولع بها في هذه المدينة أكثر مني ، ومن ١٩٣٤م إلى١٩٣٧م كنت مشغولاً من الاستيقاظ صباحاً إلى الساعة الحادية عشر ليلاً في المطالعة سرياً وخفية ، ولم يصدر عدد خاص من المجلات والجرائد آنذاك حتى تمت مطالعتها ، ومن الجرائد والمجلات التي كانت طالعتها آنذاك باهتمام بالغ ، على سبيل المثال " عالمكير " لاهور و " نيرنك " لحكيم يوسف حسين خان ، لاهور و " همايون " لميان بشير الدين و " ساقي " دهلي و " كليم " لجوش المليح آبادي و " رومان " لأختر الشيرازي . ومن الروائيين الذين أولعت بهم وأطفأت العطش الأدبي من مناهلهم الأدبية الرائعة ، وهم بريم جند وإيم أسلم وبندت سدرش وخواجه حسن النظامي وأشرف الصبوحي ومرزا محمد شفيع الدهلوي وظفر قريش وغيرهم . . . إلخ "[١] .

كيف أصبح كليم عاجز شاعراً :

وبعد ما أقام شاعرنا في مدينة كولكاتا مدةً رجع الشاعر إلى مدينة بتنة ، والتحق بالصف التاسع في المدرسة المسلمة الثانوية ببتنا (بتنا مسلم هائي اسكول) عام ١٩٣٩م ، وحصل على الترقية مرتين ، وأكمل الصف العاشر(10^{th}) بالدرجة الخامسة على مستوى ولاية بيهار عام ١٩٤٠م ، وحصل على وسام من الفضة ، ثم التحق بكلية " بي اين " ببتنا ، ولكنه لم يستطع مواصلة الدراسة لأجل ما أصابته المآسي العظيمة والأحزان العنيفة من وفيات أبيه المشفق وأخيه الصغير ، وما انطفأت نار الحزن والألم في بيته حتى نشبت الاضطرابات الطائفية في منطقته عام ١٩٤٦م ، وتلظت نارها في كل بيت من بيوت قريته ، وأحرقت البيوت

[١] المصدر السابق ، ص ٩٠ – ٩١ .

السكنية والدكاكين ، وسفكت دماء مئات من الأطفال والنساء والشيوخ الأبرياء ، وقتلت أمه وأخته مع عائلته وأسرته بصورة وحشية لا توصف ، وبأي ذنب قتلت .

وهزت هذه المجزرة التاريخية قلبه ، وأضعفت نفسه إضعافاً ، وأحزنت ذهنه حزناً شديداً ، ودفعته إلى عزلة حزنية ، وقطعت مسيراته العلمية . . . ثم أصر أصدقاؤه وزملاؤه إصراراً شديداً على مواصلة الدراسة العليا ، وشجعوه تشجيعاً صادقاً عليها ، فالتحق بكلية " باره " من جامعة بتنا من جديد بعد السنوات السبع ، وأكمل تعليم الصفين الحادي عشر والثاني عشر كطالب خارجي عام ١٩٥٤م ، كما نال شهادة البكالوريوس في اللغة الأردية بدرجة ممتاز مع المركز الأول على مستوى الجامعة عام ١٩٥٦م ، ثم انتسب إلى الماجستير في تلك الجامعة ، وحصل على درجة الماجستير بالدرجة الممتازة مع الدرجة الأولى على مستوى الجامعة عام ١٩٥٨م ، وتشرف بالوسام الذهبي ، ثم نال درجة الدكتوراه عام ١٩٦٥م تحت إشراف الأديب الأريب جميل المظهري على موضوع " تطور الشعر الأردي في ولاية بيهار بعد ١٨٥٧م ، وعين – لحسن حظه – كأستاذ مساعد للتدريس فيها [١] .

ويعتقد بعضنا أن المجزرة الوحشية التي واجهتها أسرته وأقاربه ، دفعت شاعرنا إلى قرض الشعر الرائع وإنشاده بصوت العندليب وتأليف الكتب الأدبية فقط ، الواقع أن هذا ليس سبباً وحيداً لقرض شعره وتدفق قريحته ، لأنه حينما سافر إلى كولكاتا قرأ المجلات الأردية والكتب الأدبية والدواوين الشعرية ، ولقي عباقرة الشعراء والأدباء آنذاك ، وجالس مجالس الأمسيات الشعرية والمنتديات الأدبية ، فمالت نفسه إلى المجالس الأدبية ، وثارت قريحته الشعرية ، وقرض الشعر أول مرة عام ١٩٣٧م ، واستعمل فيه لقبه " عاجز " ، وثانياً أنه بدأ قول الشعر بالاهتمام البالغ بعد سنوات لتلك الواقعة الفاجعة . ولذا أستطيع أن أقول بكل ثقة : إن تلك المجزرة وحدها لم تحركه إلى هذا الفن الرائع الذي نراه اليوم ، بل كل من

[١] لمزيد من التفاصيل ، راجع إلى عدد خاص من مجلة " أردو دنيا " ، أبريل ٢٠١٥م .

الطبع والميل إلى المطالعة ومجالس الأمسيات الشعرية والمنتديات الأدبية والمجزرة المروعة خلفية ذهبية جرت مجرى الدم في قرض الشعر الأردي وكتابة المقالات الأدبية . كما يشير الشاعر بنفسه إلى ما يصدق قولي ويؤيد مذهبي : " لو أن جرحي الشخصي تحول شعراً ، لكان لي أن أكون شاعراً على إثر مأساة ١٩٤٦م – التي قتل فيها والدتي وأختي و ٢٢ فرداً من أفراد أقربائي إلى ٨٠٠ من مسلمي قريتي خلال أيام عيد الأضحى وبالذات في أيام الأضحية والتشريق – ولكن ذلك لم يحدث ، وإنما حالت بيني وبين الإعراب عن الجروح شعراً فترة خمسة أو ستة أعوام " [١] .

أعماله النثرية والشعرية :

وأثناء مسيراته الأدبية قرض شاعرنا أول قصيدة غزلية ليساهم بها لأول مرة في حياته في أمسية شعرية عقدتها جمعية " رفيق الشعراء " في قطاع " لودهي كاترا " بمدينة باتنة عام ١٩٤٩م ، ثم شارك في أمسية شعرية اهتمت بها جمعية " بزم فرح " خارج المدينة لأول مرة عام ١٩٥٤م ، ثم بدأت سلسلة المشاركة الشعرية في أمسيات شعرية عديدة في داخل البلاد وخارجها ، واستمرت حتى توفي رحمه الله عز وجل ، ومن أهمها : في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٦٦م وباكستان عام ١٩٧٩م وأمريكا على دعوة " مركز الأقلية الإسلامية " عام ١٩٧٩م و١٩٨٤م ومدينة تورنتو بكندا على دعوة " جمعية تطوير الأردية " عام ١٩٨٤م وقطر على دعوة " المجتمع الأردي الهندي القطري " .

وخلف لنا تراثاً أدبياً ثميناً بأسلوب رصين ولغة سهلة واضحة وتعبيرات نادرة منسجمة ، ومن أهمه : " وه جو شاعري كا سبب هوا " (الأمر الذي أفضى إلى قرض الشعر) و " جب فصل بهاران آئي تهي " عند ما حلَّ موسم الربيع) و " إك ديسي إك بديسي " (مواطن وأجنبي) و " جهان خوشبو هي خوشبو تهي " (حيث كانت الروائح منتشرة) و " أبهي سن لو مجه سي " (اسمع مني الآن) و " ديواني دو " (مجنونان اثنان)

---

[١] عاجز كليم أحمد ، وه جو شاعري كا سبب هوا (الأمر الذي أفضى إلى قرض الشعر) ، ص ١٧٥ .

و " دفتر غم كشته " (الوثيقة المفقودة) و " بهلو نه دكهى غا " (لن يتألم الجنب) و " ميري زبان ميرا قلم " (لساني وقلمي) و " فر أيسا نظاره نهيى هوغا " (لن تعود هذه المناظر) و " يهان سى كعبه ، كعبه سى مدينه " (من هنا إلى الكعبة ، ومنها إلى المدينة المنورة) و " تطور الشعر الأردي في ولاية بيهار بعد ١٨٥٧م " ، وهو أطروحته لنيل درجة الدكتوراه .

دراسة علمية في شعره :

إن كتاباته الأدبية مرآة للإخلاص والصدق وصلة الأرحام ، وصورة للمجتمع البشري ، وصورة لشخصيته العبقرية الملهمة وأفكاره وتخيلاته ووجهاته الرائعة ، وصورة لتراثه الأدبي ، وظاهرة لحزنه الدفين وكمده الرزين ، وسجل للاضطرابات الطائفية التي نشبت عشية استقلال الهند . وللشاعر كليم أحمد قدرة كاملة على اللغة والأسلوب ، وكنز عظيم للألفاظ ، ومهارة تامة في استعمال الأساليب البسيطة والجمل الجميلة ، وبصيرة عظيمة في التعبيرات البديعة والتراكيب الجذابة ، ولذا نراه يحتل مكانةً عظيمةً في سماء الأدب . فيقول الأديب الشاعر فراق الغوركفوري : " لما سمعت غزله ، فأحببته حباً جماً ، وثار في التجانس والتكيف والحب والفرح الشديد ، وأعجبته إعجاباً أزعجني إزعاجاً ، وغضبت عليه غضباً شديداً ، لماذا يقول مثل هذا الشعر الجميل البديع ، ولن أستطع أن أصفح عنه ، ولن يستطع أحد أن يقرض الشعر الرائع بأسلوب خلاب ولهجة سحرية ولغة عذبة إلا بالإخلاص العميق ، ولم أسمع مثله في هذا العصر ، ونسيت أسلوب تراثي الأدبي بعد سمعه " [١] . ويقول الكاتب العبقري الملهم كنهيا لال كفور : " كلما يتغنى الغزل ، يبدو أن ملائكة مجروحة تستغيث استغاثةً ، ويتألم هو نفسه بصوت مؤلم حزين " [٢] . ويقول الناقد الأديب كليم الدين أحمد : " ما قرأت غزله أول مرة ، بل سمعته ، فصوته مترنم ، أسلوب تغنيته خلاب . . . فهمه سهل جداً لعباراته الساذجة وتراكيبه البسيطة وعدم التضاد بين التراكيب والألفاظ . . . وفي شعره حزن الأحبة وألم العصور ،

---

[١] المصدر السابق ، ص ٢٥ .

[٢] المصدر السابق ، ص ٢٣ .

وكل منهما يختلط بالآخر ، وليس من الممكن فراقه من الآخر " [1] .

ويتصف غزله الرائع ونصوصه البديعة بالتحادث مع النفس بعزلة حزينة ثارت فيه المأساة المؤلمة الرهيبة التي أصابته بعد أن انقسمت البلاد بين الهند وباكستان ، وأن هذه العزلة الحزينة لم تنته فقط ، ولم تتحول مجلساً ، وكل ما قاله ليس لأحد ، وإنما قاله لنفسه ، ولم يهدف من ورائه إلى إسماع الغير ، وإنما الغرض أن يتغنى به شخصياً ، وإن ما قاله هو في الواقع حديث صامت مع النفس ، إنه حديث مع القلب لتسليته ، فهناك من يتسلى باللعب بالورق ، ومن يتسلى بموسيقى ، ومن يتسلى بلحن من الألحان ، ومن يتسلى بالاستماع للإذاعة أو برؤية الأفلام وارتياد دور السينما ، وأما شاعرنا كليم عاجز ، فتسلى بشعره البديع الذي تحدث به مع نفسه . فيقول الشاعر : " إن الشاعر بعد ما يقول الشعر يقلق كثيراً ، ويظلّ مدفوعاً برغبة جامحة لا توصف في إنشاده الناسَ . أمّا أنا فإن لذاتي كلها تنحصر في قولي الشعر . فربما أقول غزلاً وأظلّ أتغنى به أسابيعَ ، وأحياناً شهوراً ، وأحتاط في هذا التغني هو الآخر حتى لا يتسامع به غيري ، ولا تقع عيناه على هذه الفتاة الفنية البِكْر ، فأظلّ أَلَذُّها وحدي ، وأهب لها حبيّ دونما مشاركة من أحد . فلو اضطررتُ أن أتلو غزلاً لي في الإذاعة أو في أمسيّة شعرية ، وجدت أن حرارة الحبّ نحوه وحلاوة اللذّة تجاهه قد خَفَّتْ بنحو ملموس " [2] .

وأعظم ما يختص به الشعر وهو معاني الحب المتناهي التي عُجنت به طينته ، والتي أذكتها الحوادث الأليمة التي مر بها في بداية مراحله الأولى ، واعتبرها قيمة فريدة وحيدة في حياته ، وتصوراً أمثل ، وفلسفة فضلى ، وحقيقة كبرى ، وعدها ثروة لا تثمن ، ثروة لا يقدر أحد على دفع قيمتها ، وليس هناك من يسلبه إياها ، ولن تحل محلها قوة ولا حادثة ، ولا ثورة . فيقول شاعرنا كليم عاجز : " الحبّ الغامر الشديد الذي صار قِوَام حياتي ، والذي أمارسه نحو كل شيئ في الكون ، فإني أَتَمَلْمَلُ عندما أرى كآبةً على وجه أحد ، أو عبرةً مهراقةً من عين إنسان ، أو

---

[1] المصدر السابق ، ص ٣٠ .

[2] المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

شعراً أشعث على رأس عضو في المجتمع الإنساني ، أو قطوباً على جبين رجل أو امرأة ، أو ضعفاً في مشية أحد ، أو بؤس حالته . إن شعوري بحر تتلاطم أمواجه عندما أشاهد أي موقف من هذه المواقف " [١] .

ولا يفوتني من الذكر أن بعض النقاد والباحثين يوجهون سهام الاتهام إلى أن الشاعر كليم عاجز قلد تقليداً أعمى أسلوب الشاعر الشهير مير تقي مير في التعبير عن التألم للمآسي والآلام الإنسانية . ما هذا إلا وهم كبير لن يصفح عنه ، لأن جميع ما صنع الشاعر أنه وجد مصطلحات الغزل القديمة ، وصياغاته التقليدية ، وكلماته الكلاسيكية ، تقدر قدرةً كاملةً على مسايرة العصر ، فبدأَ يُحَمِّلُها عِبْءَ تجارب جديدة للعالم المعاصر ومقتضيات الحياة الحالية الجديدة ، ورأى أن خطواتها تتزلزل في مستهلّ الأمر ، وأحياناً حدث أنها سقطت ، ولكنها تمالكت نفسها وانتعشت رويداً رويداً ، وتَقَوَّت من جديد ، وازدهرت وعادت ناضرة الوجه ، فصارت تتناغم مع حياته مع مرور الأيّام بنحو كامل . وقد تباهى الشاعر أنه بعد تجارب سنوات وبذل دماء القلب استطاع أن يُحَوِّل تقنية الغزل ومصطلحاته القديمة وأساليبه التقليدية تكسب معنويةً جديدةً حيّةً ، وتماشي العصر الحاضر في كامل القوة والجمال والتفاعل . فصرح الشاعر أنه لم يكتسب هذا الأسلوب من الكتب ، وإنما هو أسلوب تلقائي ذاتي ، ولم يتخذه بإشارة من أحد ، وليس تقليداً لمير ، فقال " لم يقلد في أسلوبه الشعري أحداً من الشعراء " [٢] ، وقال : لو كان التقليد تميل إليه نفسه لقلَّد بسهولة أي سهولة الشاعر النابغ غالب ، لأنه تعرف عليه مبكراً قبل أي شاعر من الشعراء الكبار ، لكن التقليد يتعارض مع طبيعته " [٣] ، وما يوجد في شعره من شبه بشعر " مير " إنما يرجع إلى تشابه في نمط الحياة ، ولا يرجع أبداً إلى الأسلوب والفن " [٤] .

---

[١] المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
[٢] المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
[٣] المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
[٤] المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

قهر الشعوب بالاتجاه المزدوج

محمد فرمان الندوي

حادثان غريبان :

شاب جزائري في فرنسا يعبر الإشارة الحمراء يوم الثلاثاء (٤/ من يوليو ٢٠٢٣م) ، ولم يمتثل لشرطة المرور ، فأطلقه شرطي برصاصات في صدره بشكل وحشي ، حتى مات ، وقد أثار موته ضجة كبيرة في فرنسا ، وخرج الناس إلى الشوارع والطرقات ، وتظاهروا بالاحتجاجات والاعتصامات ، وكان في هذا الاحتجاج كل من الطوائف والأصول والأعراق من المسيحيين وغيرهم ، وكان اسم هذا الشاب نائل المرزوقي ، وقد بلغ من عمره ١٧/ عاماً ، وكان يعمل عمل توصيل الوجبات إلى المطاعم ، وقد عبر رئيس فرنسا إيمانويل ماكرون عن صدمته واستيائه ، ولكن لات حين مناص ، وتأججت هذه المظاهرات في فرنسا إلى حد كبير ، بحيث وصفت بأنها غير مسبوقة من الشدة والحجم منذ عام ٢٠٠٥م ، وقد وصل المحتجون إلى منزل حاكم البلدية ، فاضطر إلى مغادرة منزله ، وامتدت نيرانها إلى مدن أخرى ، فكسرت الدكاكين ، وأتلفت الممتلكات الحكومية ، وأحرقت السيارات والحافلات ، حتى أحرق التجمع مكتبة تراثية في فرنسا ، وقد نسب بعض أجهزة الإعلام هذا العمل إلى المسلمين ، رغم أن الاحتجاجات قام بها كل من الفئات السياسية وغير السياسية ، ولها دواعٍ أخرى أيضاً غير موت شاب جزائري .

هذا في جانب ، وفي جانب آخر شاهد العالم كله سلوكاً دنيئاً من رجل سويدي ، قام بتمزيق المصحف الشريف وإحراقه أمام مسجد استوكهولم بالسويد في عيد الأضحى المبارك ، وكان ذلك بمساندة ومباركة الحكومة السويدية ، لا شك أنه انتهاك شنيع لمقدسات المسلمين ، واستفزاز لمشاعرهم الإيمانية ، وكان هذا الانتهاك يختلف عن الانتهاكات الأخرى ، فإنه قد جرى بموافقة من الحكومة وتحديد الزمان والمكان ، فهذا الحادث جرح مشاعر المسلمين ، وأدمى قلوبهم ، وأبكى عيونهم .

اتجاه مزدوج للغرب :

هذان الحادثان لهما خلفيات وتداعيات ، لكن الأمر الذي يتمخض من دراسة الواقع هو العنصرية والكراهية وخوف الغرب من

الإسلام وشعائره ، فإن قتل شاب مراهق لم يكن مفاجئاً ، وقد أرجع بعض المحللين عقارب الساعة إلى زمن الاستعمار الفرنسي في الجزائر الذي استمر إلى مائة وثلاثين سنة ، فقتل الرجال والنساء ، ودمرت البيوت والمنازل ، وفعل بالجزائر ما فعل ، حتى نالت الجزائر استقلالها عام ١٩٦٢م ، فإن الجيل الذي يحكم الآن فرنسا ليس الجيل الذي كان زمن الاستعمار ، لكن الاتجاه العدائي السافر ما زال ولا يزال مكنوناً في خفايا صدوره ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ، وإن إحراق القرآن الكريم والمكتبات العلمية ، واللعب بالتراث التاريخي ما كان ولن يكون أبداً من أعمال المسلمين إلى يوم القيامة بإذن الله ، فإن المسلمين ظلوا حاملين راية العلم والمعرفة منذ أمد بعيد ، وإن إسلامهم ما سمح بعمل إحراق إنسان ولا حيوان ولا أي شيئ آخر ، وقد كان من وصايا أبي بكر الصديق رضي الله عنه : لا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوا زرعاً ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تقتلوا شيخاً كبيراً ، ولا صبياً صغيراً ، فإن النار لا يعذب بها إلا الله (سنن أبي داود : ١٦١٠) ، فكيف ينبغي للمسلمين أن يحرقوا المكتبات الدينية والتاريخية ، وقد كانت نهضتهم بالكتب والمكتبات الإسلامية .

ثورة هائلة للعلم والفن :

كان فجر الإسلام بالعلم ، ورفع الله تعالى شأن العلم بالقرآن الكريم ، بحيث إن أول وحي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يركز على العلم ، وقد مدح الله العلم والعلماء في القرآن الكريم في أكثر من عشرة مواضع ، وقد وجدت بذرة العلم في خير القرون أرضاً خصبة ، فأثمرت حضارة رائعة للمسلمين ، وقال الأحنف بن قيس : كل عز لم يوطد بعلم فإلى الذل مصيره (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ، ص : ١٨) . ومن هنا كانت الكتب والمؤلفات ودواوين الشعراء ، وأخبار العرب ، فالكتاب هو الجليس الذي لا ينافق ، ولا يمل ، ولا يعاتبك إذا جفوته ، ولا يفشي سرك (الفخري في الآداب السلطانية والأمم الإسلامية لابن طباطبا ، طبع القاهرة ، ص : ٤) ، فكانت الكتابة والتدوين منذ فجر الإسلام ، ومن هنا نشأت المكتبات في الإسلام ، فكانت هناك مكتبات حكومية ، ومكتبات شخصية ، ومكتبات ملحقة بالمساجد والمدارس والجوامع والرباطات ، وكان للمكتبات عهد زاهر في العهود الإسلامية ، فلم تكن هذه المكتبات للزينة والمفاخرة ، ولقضاء الأوقات ، وإشباعاً لغرائز النفس ، بل كانت غايتها أسمى وأكبر من ذلك بكثير ، فكانت المكتبات نتاجاً للبحث

والدراسة وتثقيف الشعب ، ومكاناً للتأليف والتمحيص والإبداع والاختراع ، فكان علماء الطبيعة المسلمون أبدعوا مؤلفات وكتباً لا يوجد لها نظير في هذا الزمان المتطور ، فإن الثروة الهائلة للعلم والفن كلها مدينة بالمكتبات العلمية .

وجه كالح للغرب :

ومما يؤسف له أنه قد أتى على العالم الإسلامي زمان ، تعرض فيه لهجمات شرسة ، وأصيب بتفكك وانهيار ، وقد استولى على عواصم المسلمين أقوام جعلوها مسرحاً لغزواتهم ومعاركهم ، وبدأ المغول هجومهم ، فقد دخلوا بخارى ، وهي عامرة بالسكان الذين يبلغ عددهم إلى أربع مائة ألف إنسان ، لكنهم عندما خرجوا منها فتركوها أنقاضاً لا حياة لها ، ذكر المؤرخ ياقوت الحموي المكتبات الرائعة العشر التي يتجمل بها تاريخ هذه المنطقة ، وقد سويت بالأرض في هذا الهجوم ، وعندما احتل التتر بغداد فعلوا بها الأفاعيل ، وجعلوا من الرؤوس قباباً ، ومن الدماء أنهاراً ، وسفكوا فيها ثماني مائة ألف ، وقيل : إن ماء دجلة قد تغير لونه لكثرة ما ألقى فيه التتر من الكتب والأوراق ، وقيل : إنه أقاموا بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة ، ويقول محمد كرد علي في كتابه : الإسلام والحضارة العربية ، ج ٣٢٣/١ : إن هولاكو بنى بكتب العلماء اصطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضاً عن اللبن ، وليعلم أن هؤلاء التتر حينما فعلوا ذلك لم يكونوا مسلمين ، ولا يحملون لواء الإسلام .

وما قصة مأساة المسلمين في الأندلس ببعيد عنا ، الأندلس التي أتحفت أوروبا بكتب ومؤلفات نادرة ، الأندلس التي أيقظت الغرب من سباتها العميق ، الأندلس التي شقت طريقاً جديداً للفكر والتدبر ، هذه الأندلس أصبحت عُرضة للمساعي النحسة للغرب ، فإنه رأى أنه لا يمكن القضاء على الإسلام والمسلمين نهائياً إلا بالقضاء على ثقافتهم وتراثهم المخطوط ، فجمع جميع الكتب العربية والمصاحف ، واختزن الغرب منها ما اختزن ، ثم أحرقت هذه الكنوز الثمينة بين عشية وضحاها ، واختلف المؤرخون بتقدير عدد الكتب العربية التي أحرقت ، فكان يتراوح بين المليون والسبعين ألفاً من الكتب ، وما بقي منها جمع في قسم المخطوطات في عاصمة مدريد ، وقد ذكر الفرد بتلر في كتابه " فتح العرب لمصر " نقلاً عن سيديو أن الفرنسيين حينما فتحوا قسنطينه في شمالي إفريقيا أحرقوا كل الكتب والمخطوطات التي وقعت في أيديهم ، كأنهم من صميم الهمج ، وهؤلاء هم الفرنسيون الذين ينسبون أنفسهم إلى المسيحية قد أحرقوا في الجزائر في الثاني والستين من القرن العشرين الميلادي مكتبة جامعة الجزائر التي تحتوي على نصف مليون كتاب .

كذبة بلقاء في تاريخ الإنسانية :

ومن الإشاعات الكاذبة والأراجيف المزورة أن المسلمين عندما فتحوا مصر فإن عمرو بن العاص أمر بإحراق مكتبة الإسكندرية ، وقد أثار هذه الكذبة المؤرخون المسيحيون وبدؤوا يرددونها في دراساتهم ، فقالوا : إن جميع الكتب والمؤلفات كانت لهذه المكتبة حوالي أربع مائة ألف أو أكثر كتاب ، وكانت هناك أربعة آلاف حمام ، فجعلت هذه الكتب تطرح في مواقدها إلى ستة أشهر – لا حول ولا قوة إلا باللّه – فقد انبرى لدراسة هذا الموضوع دراسة موضوعية عدد من العلماء ، وفي آخرهم العلامة شبلي النعماني (رئيس الشئون التعليمية لندوة العلماء سابقاً) ، فإنه ألف رسالة حول تفنيد هذه الأكذوبة ، فقال : إن مكتبة الإسكندرية كانت قد احترقت قبل قدوم المسلمين إلى مصر بزمن طويل ، ومعلوم أن هذه المكتبة قد أنشأها الوثنيون ، فلما استولى على مصر المسيحيون ، فأول ما فعلوا أحرقوا هذه المكتبة ، لئلا يبقى للوثنيين عين ولا أثر ، ولم يكن لهذه المكتبة وجود في عهد عمرو بن العاص رضي اللّه عنه حتى يكون الأمر بإحراقه ، وختم هذا البحث بهذا الشعر الإنجليزي : " إننا نوجه إليهم سهام اللوم ، وليس جديراً باللوم سوانا " .

قهر الشعوب بالاتجاه المزدوج :

فنسبة إحراق المكتبات إلى المسلمين ليست بدعاً من الأمر ، وهذا موقف مزدوج أن المسيحيين قاموا بإحراق هذه المكتبات ثم زوّروا الواقع ، ولفقوه ، ورموا به المسلمين ، وقد أثيرت هذه التساؤلات في كل زمان ، فلا يخلو عصرنا هذا من أمثال هذه الترَّهات ، وكل ذلك لتكون سمعة المسلمين سيئة للغاية ، ولا يبقى لهم قيمة في ميزان الأمم والشعوب ، ويتضح أمام الناس أن المسلمين أعداء للعلم وأدواته ، رغم أن الغرب قد قضى فترة في عداء العلم ، لا شك أنها محاولة شنيعة وخطة مدبرة حيكت خيوطها ، ونسجت مؤامراتها ضد المسلمين ، لكن هذه سنة اللّه في الكون أن المسلمين كلما ابتلوا بأي محنة أو بلية كشفها اللّه عنهم ، وأشرق وجهه المشرق للناس ، فكان سبباً لهدايتهم إلى الصراط المستقيم ، وصدق من قال : " رب ضارة نافعة " ، فنسبة إحراق المكتبات إلى المسلمين وإحراق المصحف على رؤوس الأشهاد ومن ثم إثارة حفائظهم نوع من العداء والإسلامفوبيا الذي يضمره الغرب في قلبه ، وينكشف الغبار رويداً رويداً ، فيعرف القاصي والداني أنه كان غباراً انكشف أو غمرة انجلت ، قال اللّه تعالى : (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً . وَأَكِيدُ كَيْداً . فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) [الطارق : ١٥ – ١٧] .

(١) الأستاذ الطبيب جنيد عالم الندوي إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ الطبيب جنيد عالم الندوي من مدينة غورخفور بولاية أترابراديش (الهند) عن عمر يناهز ٧٤/ عاماً ، وذلك في ٢٣/ ذي القعدة عام ١٤٤٤هـ ، المصادف ٢٠٢٣/٦/١٣م ، يوم الثلاثاء قبل صلاة العصر ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ جنيد عالم الندوي من مواليد ١٩٤٩م ، وكان والده الأستاذ عبد القدير من سكندر فور ، بمديرية بليا ، لكنه انتقل إلى همايون فور بمنطقة غوركهناته ، في غورخفور ، ونشأ الأستاذ جنيد عالم الندوي في هذه البلدة ، ودرس فيها دراسته الابتدائية ، ثم واصل دراسته في دار العلوم لندوة العلماء ، وذلك في أوائل السبعينيات من القرن المنصرم الميلادي ، ثم استمرت دراسته في كلية الطب بجامعة علي جراه ، فنال منها شهادة .B.U.M.S ، وبعد إنهاء الدراسة في جامعة علي جراه عاد إلى وطنه ، واشتغل بالشئون التعليمية والدعوية ، وقد أسس مدرسةً باسم باب العلوم في مدينة غورخفور عام ١٩٨٢م ، وظل مرتبطاً بها إلى آخر أنفاس حياته ، كما كانت له مساهمة بارزة في تنشيط نشاطات جمعية علماء الهند في هذه المنطقة ، حتى عُيّن رئيساً لها في هذه المديرية إلى مدة طويلة ، وكان إماماً وخطيباً لمصلى العيدين في مدينة غورخفور ، فكانت حياته مشغولةً في العلم والعمل حتى لفظ نفسه الأخير .

ترك وراءه أهله وأربع بنات وولداً ، ونحن إذ نعزي أسرته على هذا الحادث ندعو الله أن يُغدق عليه شآبيب رحمته ، ويرحمه رحمةً واسعةً ، ويحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

(٢) الأستاذ محمد صابر في ذمة الله تعالى

فوجئنا بوفاة الأستاذ محمد صابر رحمه الله (المدرس بالمعهد الثانوي لدار العلوم لندوة العلماء سابقاً بمنطقة سكروري ، لكناؤ) في ٤/ ذي الحجة عام ١٤٤٤هـ ، المصادف ٢٣/ يونيو٢٠٢٣م ، وقد بلغ من العمر ٧٦ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ محمد صابر أستاذ اللغة الانجليزية وعلم الطبيعة وعلم الحساب في معهد دار العلوم ، وظل يدرِّس فيه إلى مدة طويلة إلى أن تقاعد عن الوظيفة ، وقد التحق بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٣٩٥هـ ، الموافق ١٩٧٤م كمدرِّس على إيعاز من فضيلة الشيخ القاضي محمد معين الندوي رحمه الله تعالى (نائب رئيس ندوة العلماء سابقاً) ، وكان مواظباً على الحصص الدراسية ، يدرّس

الطلاب ويفيدهم ويربيهم على خلال طيبة ، وكان ينتمي إلى مدينة لكناؤ في منطقة إتونجا ، حيث وُلد فيها في ٢/ سبتمبر عام ١٩٤٧م ، ودرس في مدرسة أهلية ، ثم انتقل إلى كلية جبلي في مدينة لكناؤ ، حيث تعلم هناك الثانوية العامة ، كما نال شهادة علم الحساب منها بدرجة ممتاز .

كان للأستاذ محمد صابر ذوق رفيع للمطالعة والدراسة ، فكان يطالع الكتب والمؤلفات الدينية الكثيرة ، وكان يستعيرها من مكتبة العلامة شبلي النعماني العامة ، وكانت له علاقة بالأستاذ السيد محمد مرتضى المظاهري النقوي مسئول المكتبة العامة سابقاً ، فإنه أحصى مرةً عدد الكتب التي طالعها ، فكان ذلك ٣٥٠/ كتاباً ، وقد زار كثيراً من العلماء ، وخاصةً الشيخ الداعية محمد إنعام الحسن الكاندهلوي رحمه الله ، وكان يعيش حياة الزهد والقناعة ، ولا يرضى بالزخرفة والحياة الباذخة .

أكبر أولاده الأستاذ محمد عارف الندوي موظف في قسم الامتحانات بدار العلوم لندوة العلماء ، وفي أسرته والدة الأخ العزيز محمد عارف وعدد من الإخوة والأخوات أحياء يُرزقون ، وصلى عليه مع جماعة كبيرة الأستاذ محمد عارف الندوي ، وتم دفنه في مقبرة بالا غنج ، لكناؤ .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاته ، وصفح عن سيئاته ، وتقبل أعماله وجهوده ، فإنه على كل شيئ قدير .

(٣) الأستاذ الداعية محمد فاروق خان إلى رحمة الله تعالى

وصلت الأنباء الآتية من مواقع التواصل الاجتماعي أن الأستاذ الداعية المترجم للقرآن باللغة الهندية محمد فاروق خان فارق الحياة الدنيا ، ولبى نداء ربه تعالى في ١٠/ ذي الحجة ١٤٤٤هـ ، الموافق ٢٩/ يونيو ٢٠٢٣م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ محمد فاروق خان من مديرية سلطان فور ، بولاية أترابراديش (الهند) ، وظل متصلاً بالجماعة الإسلامية في الهند ونشاطاتها ، فإنه أول من نقل القرآن الكريم إلى اللغة الهندية في الهند ، كما نقل تفسير الشيخ السيد أبي الأعلى المودودي إلى الهندية ، وكان يهتم بتدريس القرآن في المساجد المختلفة ، فكان القرآن الكريم غذاءه صباح مساء ، وكان يملك كميةً كبيرةً من الكتب العلمية حول القرآن الكريم ، وكان يقول : من معجزات القرآن أنه كتاب للخاصة وللعامة معاً ، وقد أشرف إلى مدة على مؤسسة التحقيق والتصنيف في علي جراه ، وله ذوق شعري ، شهد به شعراء عصره ، ويُعرف ديوانه باسم : حرف وصدا (حرف ونداء) ، وكانت دراسته لكتب الهندوس عميقةً ، فألف عدة كتب حول الموضوع .

كان الأستاذ محمد فاروق خان مقيماً في دهلي ، وقبل يوم من وفاته وصل إلى نجله في لكناؤ ، وهنا انتقل إلى رحمة الله تعالى ، ونُقل جثمانه إلى سلطان فور ،

حيث دُفن في إحدى مقابرها .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأمطر عليه غوادي رحماته ، وأدخله فسيح جناته ، وألهم أتباعه وتلامذته الصبر الجميل .

(٤) الشيخ السيد أبو طاهر الحسيني إلى رحمة الله تعالى

توفي الشيخ السيد أبو طاهر الحسيني بن السيد أبي محمد من غير مرض مسبق في ٢٥/ ذي القعدة ١٤٤٤هـ ، المصادف ١٥/ ٦/ ٢٠٢٣م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ السيد أبو طاهر الحسيني من أسرة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وكان ينتمي إلى هنسوه في مديرية فتح فور بولاية أترابراديش ، وُلد في ٢/ رمضان ١٣٥٩هـ ، المصادف ٤/ أكتوبر ١٩٤٠م ، ودرس إلى مرحلة الثانوية ، وعمل عقدين في المملكة العربية السعودية ثم رجع منها ، وآثر الإقامة في مدينة لكناؤ ، حيث يشتغل بأعمال متنوعة ، إذ فأجاته المنية فانتقل إلى رحمة الله تعالى ، صلى عليه كاتب هذه السطور سعيد الأعظمي الندوي (مدير دار العلوم لندوة العلماء) ، في رحاب ندوة العلماء بعد صلاة العشاء ، ثم نُقل جثمانه إلى دائرة الشيخ علم الله الحسني في رائي بريلي ، وتم دفنه في مقبرة قرية الصالحين .

كان الشيخ السيد أبي طاهر الحسيني والد الإخوة الأعزة الأستاذ السيد عمير الحسيني الندوي (أستاذ مدرسة مظهر الإسلام ببلوجفوره في لكناؤ) والأخ السيد زهير الحسيني ، والأخ السيد زبير الحسيني ، كما كان والد زوجة الأخ الأستاذ اصطفاء الحسن الكاندهلوي الندوي (أستاذ التفسير والحديث بدار العلوم لندوة العلماء) ، وكانت له علاقة قريبة برئيس ندوة العلماء الأستاذ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي ، خلف وراءه أسرةً حافلةً بالبنين والبنات ، ونحن إذ ندعو الله لمغفرته نرجو الله تعالى أن يدخله فسيح جناته ويلهم أهله وذويه الصبر السلوان .

(٥) الشيخ مستقيم أحسن الأعظمي إلى رحمة الله تعالى

وصلنا نبأ وفاة الشيخ مستقيم أحسن الأعظمي في ١/ ذي الحجة ١٤٤٤هـ ، المصادف ٢٠/ يونيو ٢٠٢٣م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ مستقيم أحسن الأعظمي رئيس جمعية علماء الهند لولاية مهاراشترا منذ أكثر من عشر سنوات ، أقام في هذه الولاية منذ ٥٥/ عاماً ، وكان ينتمي إلى شيخوفور بمديرية أعظم جراه ، درس في مدرسة إحياء العلوم بمباركفور ، ثم انتقل إلى مدرسة الإصلاح بسرائي مير ، ومن هنا إلى دار العلوم بديوبند ، ودرس هنا صحيح البخاري على المحدث الكبير الشيخ السيد فخر الدين أحمد رحمه الله تعالى ، كما درس شهوراً في دار العلوم لندوة العلماء في قسم التخصص في الأدب العربي ، لكنه لم يكمل دراسته ، ثم أصبح مدرساً في جامعة الرشاد بأعظم جراه ، وكانت

له نشاطات كتابية ، فصدرت له بعض الكتب ، من أولاده النجباء الشيخ محمد عارف العمري نزيل ممبائي ، رحم الله الفقيد رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاته ، وأدخله فسيح جناته .

(٦) الأستاذ عبد الولي الفاروقي إلى رحمة الله تعالى

فاجأنا هذا النبأ المحزن أن الأستاذ عبد الولي الفاروقي قد انتقل إلى رحمة الله تعالى في ٨/ ذي الحجة ١٤٤٤هـ ، المصادف ٢٧/ يونيو ٢٠٢٣م ، وقد بلغ من العمر ٦٠/ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ عبد الولي الفاروقي من أسرة الإمام عبد الشكور الفاروقي رحمه الله الذي كانت له مساهمة بارزة في محو البدع والخرافات من الولاية الشمالية للهند ، وكان والده الشيخ عبد الحليم الفاروقي من العلماء أولي الغيرة الإيمانية في نشر السنة السَنية ، كما كان جده الشيخ عبد الرحيم الفاروقي مثالاً في الحياة الإسلامية ، وقد تربى علي يديه كثير من الناس ، وتابوا من المعاصي والذنوب ، وهذه الأسرة الفاروقية لها ملامح وخدمات في نشر الحقائق الناصعة .

كان الأستاذ عبد الولي مدير دار العلوم الفاروقية بمنطقة كاكوري بلكناؤ ، ورئيس مجلس العمل للسنة في لكناؤ ، وكانت له برامج وفعاليات إيجابية في هذه المنطقة ، كما كان متحمساً للذب عن حرمة الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ولا يبالي في ذلك لومة لائم ، وقد أصيب قبل سنة بمرض السرطان ، وأدخل في مستشفى فهمينه بمنطقة توريا غنج ، ولم يُكتب له الشفاء ، فانتقل إلى رحمة الله تعالى .

خلّف وراءه أهله وولدين وبنتاً ، والأستاذ ياسر عبد الرحيم الفاروقي من أولاده النجباء ، والشيخ عبد العلي الفاروقي رئيس دار العلوم الفاروقية من إخوته الكبار ، وهو من العلماء والمؤلفين والخطباء في مدينة لكناؤ ، وله أخ صغير وهو الأستاذ الحاج عبد الوحيد الفاروقي رئيس منظمة الصحابة للعمل ، وهو يُعرف في مدينة لكناؤ بأعماله الاجتماعية ، وقد أم صلاة جنازته على باب فرنجي محل نجله الأستاذ ياسر عبد الرحيم الفاروقي ، وتم دفنه في مقبرة بلاقي أده ، ونحن إذ نعزي أسرته الحافلة بالعلماء والحفاظ ، وخاصةً نجله الأستاذ ياسر عبد الرحيم الفاروقي ونجل أخويه الأستاذ معاوية الفاروقي الندوي والأستاذ زيد الفاروقي الندوي ندعو الله أن يجعل هؤلاء خير خلف لخير سلف ، ويتغمد الراحل الكريم برحمته ، ويمطر عليه شآبيب مغفرته .

(٧) الأستاذ الطبيب حسان النجرامي إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالأستاذ الطبيب حسان النجرامي بعد صلاة

المغرب في ١٩/ ذي الحجة ١٤٤٤هـ ، الموافق ٨/ يوليو ٢٠٢٣م ، بالغاً من العمر ٦٩/ عاماً ، فإنا لله ، وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ حسان النجرامي نجل الشيخ عبد الغفار الندوي (أستاذ دار العلوم لندوة العلماء سابقاً) ، درس في كلية تكميل الطب ، واشتغل بهذا الفن طول حياته ، وكان له اشتغال بالبحث والتأليف ، فألف مؤلفات يبلغ عددها ٣٥/ في هذا الموضوع ، وقد نال جوائز تقديرية على إنجازاته العلمية .

ومن أولاده ثلاثة أبناء : نعمان رؤوف ، وإحسان رؤوف ، ومحسن رؤوف ، وبنتان ، صلى عليه غداة يوم الأحد في ٢٠/ ذي الحجة ١٤٤٤هـ ، ودُفن في مقبرة كهدرا ، لكناؤ .

ونحن إذ نعزي أهله وأولاده وأخاه الكبير الأستاذ غياث الدين الندوي ندعو الله أن يتغمده بواسع رحمته ويجعل الجنة مثواه ، ويلهم ورثته الصبر والسلوان .

(٨) والدة المفتي محمد زيد المظاهري الندوي في ذمة الله تعالى

انتقلت إلى رحمة الله تعالى والدة الأستاذ المفتي محمد زيد المظاهري الندوي (أستاذ الحديث بكلية الشريعة وأصول الدين بدار العلوم لندوة العلماء) في ٢٥/ ذي القعدة ١٤٤٤هـ ، المصادف ١٥/ ٦/ ٢٠٢٣م ، وكان اسمها : إسلامن ، وقد بلغت من العمر ٩٢ عاماً ، فإنا لله ، وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة من فضليات النساء ، وكانت خير مربية لأولادها ، إنها قامت بتربية الأستاذ المفتي محمد زيد المظاهري الندوي على خلال من الإيمان واليقين ، فإنه تخرج في جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور ، وجامعة ندوة العلماء ، وله مهارة فائقة في العلوم الإسلامية ، وله كتب ومؤلفات يبلغ عددها إلى مائة ، واستفاد كثيراً من كتابات الإمام أشرف علي التهانوي ، والعالم الرباني المقرئ السيد صديق أحمد الباندوي رحمهما الله جميعاً ، وقد قام بتدريس العلوم الإسلامية في الجامعة العربية بباندہ ، ثم انتقل منها إلى دار العلوم لندوة العلماء ، حيث يدرس فيها أمهات الكتب في الحديث النبوي الشريف ، هذا كله بتربية والدته ودعائها ، وزوجها الحاج مختار أحمد ما شاء الله حي ، وعمره : ٩٨ عاماً ، وقد تركت الراحلة وراءها أسرة مكونة من ثمانية أبناء وبنت واحدة ، وهي تنتمي إلى مديرية كانفور .

ونحن إذ نعزي أسرة الأستاذ المفتي محمد زيد المظاهري الندوي على هذا الحادث ندعو الله سبحانه وتعالى أن يدخل الراحلة في جنات النعيم ، ويغفر لها زلاتها ، ويصفح عن سيئاتها ، قال الله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ، وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ ، وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ، وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ) .

عدد ممتاز

عن العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

رحمه الله تعالى

فوجئت أسرة مجلة البعث الإسلامي وندوة العلماء بأسرها بوفاة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند) ، وهي حادث أليم لجميع الأوساط العلمية والأدبية والدينية في الهند وخارجها .

وإن حياة أستاذنا رحمه الله حافلة بكثير من الإنجازات والأعمال ، وهي مسجلة في ذاكرة التاريخ ، فالحاجة إلى إبراز نواح متنوعة لجهوده وآثاره ، فقد قررت أسرة المجلة إصدار عدد ممتاز للمجلة حول الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله .

يزدان بإذن الله هذا العدد بـ :

(١) جوانب مشرقة من حياته

(٢) آثاره العلمية والأدبية

(٣) إبداعاته في الأدب الإسلامي

(٤) بحوث ودراسات حول أعماله

وغيرها من كلمات التعزية وشعر الرثاء وأخبار التأبين .

الرجاء إرسال البحوث والمقالات على عجل إلى مكتب المجلة .

ملحوظة : هذا العدد الممتاز يحتوي بإذن الله على ثلاثة أعداد : ٨ . ٩ . ١٠ ، من المجلد التاسع والستين ، فنلتمس من القراء الكرام أن لا يترقبوا المجلة في الشهر القادم .

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2021 To 2023
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 69 Issue. No.07, August 2023

إصدارات حديثة

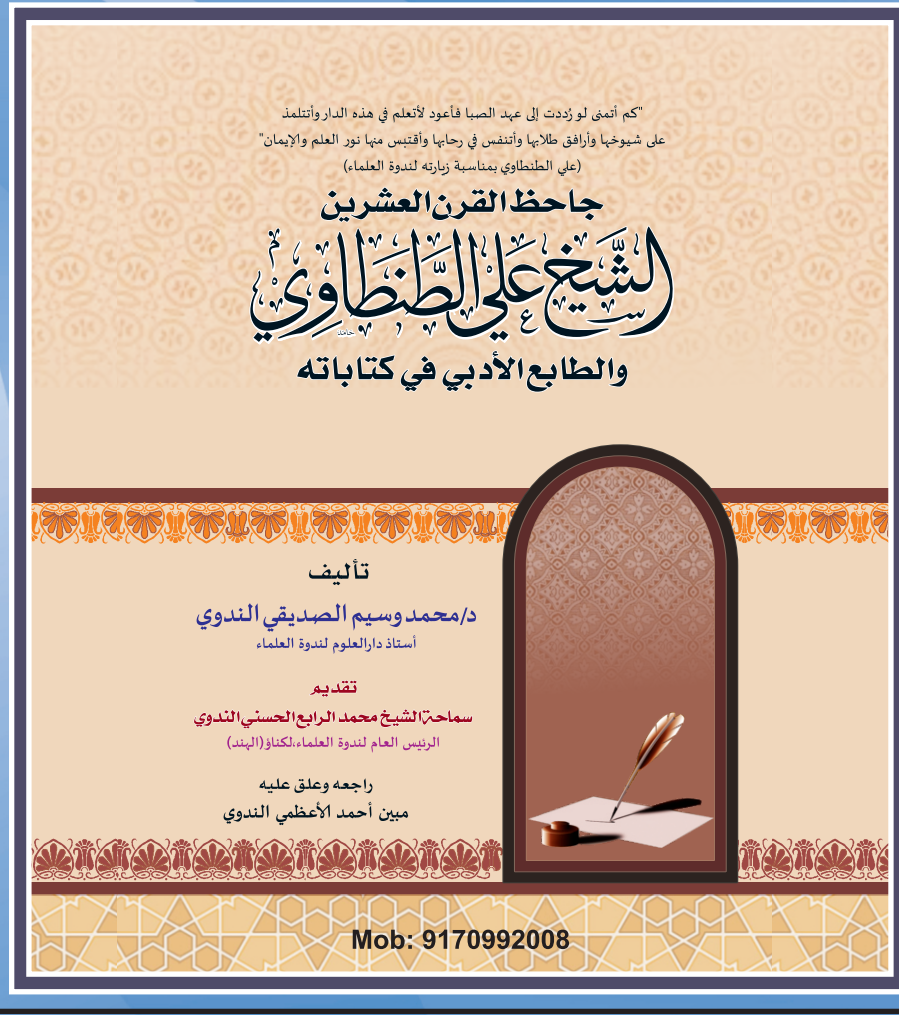

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI